سلسلة
كتب إسلامية
٩

الطريق إلى الله

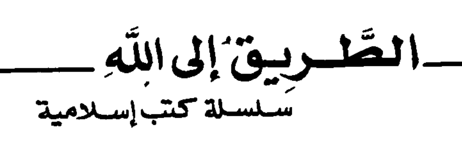
نساء مؤمنات

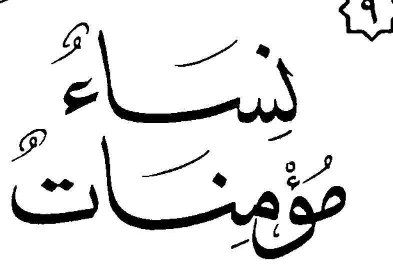
«القدوة من النساء»



الداعية الإسلامى
ياسين رشدى



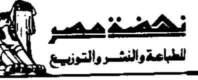


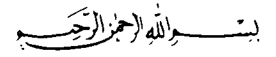


"القدوة من النساء"

الداعية الإسلامى

ياسين رشدى





بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

السيد / رئيس مجلس إدارة نهضة مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

بناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : القصة من السماء (نساء مؤمنات) ... تأليف : ياسين رشدى

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،



مدير عام
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في ١٥ / ٢ / ١٤١٢
الموافق ١٤ / ٩ / ٩٢

تَقْـــدِيم

الْحَمْــــدُ «لله» .. الْــــوَدُودُ خَفِـــيُّ الأَلْطَـــاف .
الْحَنَّــانُ الْمَنَّـــانُ بِالنِّعَـــمِ أَلْـــوَانٌ .. وَأَصْنَـــاف .
الْكَرِيمُ .. الْمُجِيبُ .. الْمُؤَمِّنُ لِكُلِّ مَنِ ارْتَاعَ وَخَـاف .
اللَّطِيفُ فِـي بَلائِـهِ .. وَلَـوْ كَـانَ مِـنَ الْعَبْـدِ إِسْرَاف .
الْقَـرِيبُ الْمُـجِبُ لِمَــنْ دَعَــاهُ بِإِلْحَــاحٍ وَإِلْحَــاف .
نَحْمَدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَنَسْأَلُهُ النَّجَاةَ مِمَّا نَخْشَى وَنَخَاف .
وَنَعُوذُ بِنُـورِ وَجْهِـهِ الْكَرِيـمِ مِـنَ الْجَدَلِ والإِسْفَـاف .
وَنَرْجُوهُ الصَّلاَحَ والاسْتِقَامَةَ دُونَ مُوَارَبَةٍ أَوِ الْتِفَـاف .
وَنَدْعُــوهُ أَنْ يُجَنِّبَنَــا بِفَضْلِــهِ الْــفَسَادَ وَالإِتْـــلاَف .

* * *

وأَشْهَدُ أَنَ لاَ إِلَه إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ حَقٍّ ،وَإِنْصَاف .
شَهَادَةً شَهِدَتْ بها شُخُوصُنَا وَظِلاَلُنَا، والأَعْضَاءُ مِنَّا والأَطْرَاف .
شَهَادَةً أَقَرَّتْ بِهَا الطُّيُورُ، والأَسْمَاكُ فِي الْبُحُورِ، وَكَذا اللآلِيءُ والأَصْدَاف.
هِيَ نَشِيدُ الْمَوْجُودَاتِ، وَمِنْ أَجْلِهَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ، والإِقْرارُ بِهَا كَافٍ وَشَاف.
هِيَ نُورُ الْبَصَائِرِ،وبِحَقِيقَتِهَا قِوَامُ الأَعْرَاضِ والْجَوَاهِرِ.. وإِنْكَارُهَا ظُلْمٌ وَإِجْحَاف.
هِيَ نَفْيٌ وإِثْبَاتٌ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الذَّاتِ مَعَ تَعَدُّدِ الأَوْصَاف .
دَلِيلُهَا عَبِيرُ الْوُرُودِ.. وَنَسِيمُهَا أَنْفَاسُ الْوُجُودِ.. وَبِالدِّفَاعِ عَنْهَا عَزُّ الأَسْلاَف.

* * *

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُتَحقِّقُ بِكَمَالِ الأَوْصَاف .
عَفِيـفُ اللِّسَـانِ .. فَائِـقُ الْحَنَـانِ .. سَـرِيـعُ الانْعِطَـاف .
سَامِـقُ الْقِمَـمِ .. مُتَعَـدِّدُ الْهِمَـمِ .. مُوَطَّـأُ الأَكْنَـاف .
عَظِيمٌ خُلُقُهُ .. وَحْيٌ نُطْقُهُ .. جُعِلَ رِزْقُهُ تَحْتَ ظِلِّ الرُّمْحِ والأَسْيَاف.
وَطِـيءُ الْفِـرَاشِ .. بَسِـيـطُ اللِّبَـاسِ .. عَـيْشُهُ الْكَفَـاف .
مَرْكَبُـهُ الْبَعِيـرُ .. سَرِيـرُه الْحَصِيـرُ .. يَلْبَسُ النَّعْـلَ والْخِفَـاف .
بِالْقَنَاعَةِ قَدْ أَمَرَ .. وَبِالزُّهْدِ اشْتُهِرَ .. وَمَا مُلِئَتْ بِطَعَامِهِ الصِّحَاف .
مُـحْسِنٌ إِذَا أَسَرَ .. عَفُـوٌّ إِذَا قَـدَرَ .. لاَ يَنْـقُضُ الأَحْـلاَف .
ابْتُلِيَ بِفَقْدِ الأَوْلاَدِ فَصَبَرَ.. ورَحَّبَ بِالْمَوتِ حِينَ حَضَرَ كَأَنَّه يَوْمُ الزِّفَاف.
كَلاَمُهُ دُرٌّ مَنْظُومٌ .. لَمَسَاتُهُ تُسْعِدُ الْمَحْرُوم .. وَرِيقُه شَهْدٌ صَاف .
حَوْضُهُ زَلاَلٌ وَرِواءٌ.. وكَأْسُهُ سَلْسَلٌ وشِفَاء .. وَشَفَاعَتُهُ لِلْجمع إِسْعَاف.
سَيِّدُ الْكُلِّ وَالْجَمِيعِ.. وَأَوَّلُ مُتَكَلِّمٍ وَشَفِيعٍ.. لَيْسَ فى ذَا شَكٌّ وَلاَ خِلاَف.
أُمِرْنَا بِالصَّلاَةِ والسَّلامِ عَلَيْه .. والتَّأَدُّبِ فِي الْوقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ..
وَغَـضِّ الصَّـوْتِ بِـلا اسْتِخْـفَـاف .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسـلِّمْ وَبَـارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْـبِـهِ الأَشْـراف.
فَـوْقَ مَا خَطَّـهُ قَلَـمُ مَـادِحٍ أَوْ أَضَـاف .
وَكُلَّـمَـا سَعَـى عَبْـدٌ إِلَـى الْبَيْـتِ أَو طَـاف .
وَطَالَمَـا كَـانَ فِـى الْكَـونِ أَضْـوَاءٌ وأَطْيَـاف .

أمـــا بعـد

ففى عصر الظلم والظلام .. فى عصرٍ كانت تُوءَدُ فيه البنات ، وتُعَقُّ فيه الأمهات .. فى عصرٍ كانت النساء تُوَرَّثُ كما يُوَرَّثُ المتاع ، ولا حق لهن فى الميراث ، بل هن تركة تُقَسَّم كما يُقَسَّم المتاع .. لا حق لهن فى الحياة .. لا حق لهن فى إبداء الرأى ، أو الكلام فى أى شأن من الشئون .. وكان الرجل يتزوج من النساء ما يشاء دون حدود فى العَدَد ، كما يتملَّك ما يشاء من الإماء .. ويمسك من يشاء من زوجاته ، ويُطلِّق من يشاء دون ذنب أو جريرة ودون تعويض ، وإذا مات ورث ابنه الأكبر نساءه .. إن شاء تزوَّجهن ، وإن شاء أمسكهن دون زواج ، وإن شاء زوَّجهن وأكل مهورهن ..

زمان : كانت البهائم فيه أغلى من النساء وأعلى قيمة ، إلا فى حالة إكراههن على البغاء إن كن من الإماء حتى يأتين بالمال لأصحابهن ..

فى ذلك الزمان الذى أُهْدِرَتْ فيه آدَمِيَّة النساء ، وضُيِّعَت حقوقُهن ، وأُزْهِقَتْ أرواحُهن فى طفولتهن حتى لا يجلبن العار .. ظهرت دعوة الحق ، وأشرقت شمس الإسلام لتضع الأمور فى نصابها ، وتنزَّلت الآيات لتُقَرِّر ما عليهن من واجبات ، وما لهن من حقوق .. ولتبيِّن أن النساء شقائق الرجال ، وأن الجميع خُلِقُوا من نَفْسٍ واحدة .. وأن للنساء مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة .. وسارع المحظوظون للدخول فى هذا الدين الجديد الذى أعطى كل ذى حق حقَّه ، ونظم المجتمع ، وحدَّد العلاقة بين

أفراده فى إطار العدل والتعاون على البر والتقوى .. وكان الاهتمام باللبنة الأولى فى المجتمع وهى الأسرة واضحا جَلِيًّا فى ما نزل من آيات الزواج والطلاق ، وتقرير حق النساء فى الميراث ، وحرية الاختيار لشريك الحياة .. وكانت السابقات فى الإسلام من الصحابيات خير قُدوة لنساء الأمة فى أداء الواجبات التى فرضها الإسلام عليهن من : طاعة الأزواج ، ورعاية الأبناء ، وغضّ البصر ، والالتزام بالزّى الشرعى ، وعدم التبرُّج أو الاختلاط المؤدى إلى الفتن والشرور .. فكُنَّ بذلك سَكَنًا للأزواج ، وخير عون لهم فى تَنْشِئَةِ أجيال سليمة عقائديًّا ، وسُلوكِيًّا ؛ فعز الإسلام ، وسادت الأمة غيرها من الأمم ، ثم بدأت الثقافات الغربية والأعراف السقيمة تدخل إلى بلاد الإسلام ، وكان أوّل من تلقّفها بالقبول والانبهار – للأسف الشديد – بعض النساء اللاتِى خُدِعْن بالشعارات المزيفة التى تنادى بحرية المرأة ومساواتها للرجل فخرجن من بيوتهن للعمل والاختلاط – غير السليم وغير المحكوم – بالرجال ، وبدأت المرأة تتزيَّن للخروج فى الوقت الذى أهملت فيه التزيُّن لزوجها ، وأهملت بيتها وأولادها ؛ فانفرط العقد ، وتفكّكت الأسرة ، وفقد الرجال الغيرة ، ففقدت النساء العصمة ، وكثرت حالات الطلاق ، وقل الإقبال على الزواج ، وظهرت أجيال من الشباب ضعاف الشخصية قد فقدوا رعاية الآباء ، وحنان الأمهات ، وكثرت الانحرافات ، وظهر التطرُّف بجميع أشكاله ، وتغلّبت المادية على القيم الخلقية ، والنزعة الفردية ، والأنانية ، والانعزالية على الشعور بالانتماء للمجتمع والأمة

الإسلامية .. ولاخلاص للأمة من أمراض العصر إلا بالعودة إلى النبع الصافى الذى نهل منه السلف ، والانتماء إلى الجذور الأصلية ، ورفض كل وافد من تقاليد وأعراف لا تتفق مع قيم الإسلام الحنيف ..

وفى الصفحات التالية نُقَدِّم سيرة بعض النساء اللاتى هن كالكواكب المشرقة تهدى بنورها فتيات عصرنا هذا اللاتى فقدن القُدْوَة الصالحة ، وغرَّتْهُنَّ الدعايات المغرضة ، والحضارة المزعومة .. لعلَّهُن يَجِدْن قَبَسًا من نور يهديهن إلى طريق الاستقامة والسعادة ..

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ..

ياسين رشدى



السَّيِّدَةُ حَـوَّاءُ

□ خلق «الله» تبارك وتعالى سيدنا آدم بكلمة (كن) ، وكانت المادة التى خُلِقَ منها هى : التراب ، أو الطين ، أو الصلصال .. وكلها أشكال مختلفة ، التراب فيها هو الأصل ؛ فإن خلط بماء سُمِّى : طينا ، وإن حمى بعد ذلك فى النار كان : صلصالا ، ولم تُخْلَق السيدة حواء كما خُلِقَ سيدنا آدم ، وإنما خُلِقَت من ضِلع من أضلاعه ، ولو أنها خُلِقَت كما خُلِقَ هو فى نفس الوقت لأصبحا متساويَين – ولقد كان «الله» تعالى قادرا على ذلك – ولكنها خُلِقَت من جزء منه ، وأنَّى للجزء أن يتساوى مع الكُلِّ ؟! .. إذًا فآدم هو الأصل وحواء هى الفرع لقول «الله» عز وجل :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا.. ﴾[1]

وعلى ذلك فإن أى خطاب لهما يكون المقصود به الأصل وليس الفرع ، كما أن كل فعل مشترك تكون مسئوليته بالدرجة الأولى على الأصل وليس الفرع ؛ وعليه فإن الخطيئة الأولى التى وقعت منهما بالأكل من الشجرة المحرَّمة – وإن كانا قد اشتركا فيها – فإن مسئولية آدم أكبر من مسئولية حواء بدليل قول «الله» عز وجل :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ.. ﴾[2]

(١) الأعراف : ١٨٩ . (٢) البَقَرة : ٣٧ .

ولم يقل : فتلقَّيَا ، أو : فتلقَّى آدم وحواء .. ولقد حاول اليهود إلقاء التَّبِعَة على السيدة حواء باتِّهامها بأنها هى التى أغْرَته بالأكل بعد أن أغواها إبليس ، واتخذها مَطِيَّة لإغواء آدم ، وحفلت بعض الكتب بالإسرائيليات التى تنسج القصص عن هذا الإغواء وكيف دخل الشيطان إلى الجنة فى صورة حيَّة .. وما إلى ذلك مما جعل الأمر يستقر فى أذهان بعض الناس ، واجترأ بعض الكتاب والرسامين على أم البشر فاتهموها بأنها السبب ، وحفلت المجلات بالرسومات الفكاهية،وكذلك القصص المختلقة عن التفاحة التى قدمتها حواء لآدم مما يقلل من شأن المرأة ويوحى بالحذر والتوجس وتوقع الشر منها .. المرأة التى أوصى بها «الله» فى كتابه الكريم باعتبارها أمًّا مشيرا إلى ما تتحمله من مشقة لا يتحملها الرجل بأى حال بقوله :

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾[٣] ..

﴿...حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ...﴾[٤] .

وحين سُئل النبى (ﷺ) من أحد أصحابه : أى الناس أولى بِبِرِّى يارسول الله ؟.. قال : «**أُمُّكَ**» .. قال : ثُمَّ مَنْ ؟.. قال : «**أُمُّكَ**» .. قال : ثُمَّ مَنْ ؟.. قال : «**أُمُّكَ**» ، قال : ثُمَّ مَنْ ؟.. قال : «**ثُمَّ أَبُوكَ**»[٥] .

---

(٣) الأحقاف : ١٥ . (٤) لقمان : ١٤ .

(٥) مُتَّفَقٌ عَلَيْه ، عن أبى هُرَيْرَة (رضى الله عنه) ، البُخارِىُّ (٥٩٧١) ، ومُسْلِم (٢٥٤٨) .

ويكون بِرُّ الأم فى حياتها : بالمودَّة ، والمراعاة ، والحنان ، والنفقة إذا كانت محتاجة .. كما يكون بعد موتها : بالدعاء ، والاستغفار لها ، وقراءة القرآن ، وتذكُّر فضلها ، وصلة الرحم التى من جهتها ، وإنفاذ وصيَّتها ، وبر أهل مودَّتها وصداقتها .. وينطبق هذا على كل أم ، وإن عَلَتْ .. أى على الأم ، وأم الأم وهكذا .

•

والسيدة حواء أُمُّ البشرية جميعا ، ويكون بِرُّها بأن يبقى اسمها فى منزلة عالية رفيعة تتلاءم مع هذه الأم العظمى ، ويتأتَّى ذلك بأمور عدة منها : توجيه وتوعية هؤلاء الذين يتطاولون عليها مُعلنين عقوقهم عبر الرسومات الكاريكاتورية ، والفكاهات .. كما يكون بتبرئتها مما نسبه إليها اليهود من اتِّهام هى منه بَرَاء ، وهو إخراج سيدنا آدم من الجنة حيث وسوس إليها الشيطان بذلك فأغرت آدم بالأكل من الشجرة ؛ و«الله» تبارك وتعالى يقول :

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٦)

فالخطاب هنا وإن كان موجهًا لهما معًا إلا أن المُخَاطَب الأصلىّ هو الزوج ؛ فالرجال قوَّامون على النساء ، ومن ثَمَّ فهى مخاطبة بالتبعِيَّة .. الأمر الذى يؤكِّده بعد ذلك قول «الله» عز وجل :

---

(٦) البَقَرة : ٣٥.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
(١١٦) فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨)
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴾[٧] .

أى أن إبليس حين تكلم ووسوس ، وسوس لآدم ، ويؤكد ذلك قول «الله» عز وجل :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٨]

وكذا قوله :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[٩]

وهكذا نجد القرآن بين أيدينا يخلو من أى دليل على أن السيدة حواء هى التى أغوت سيدنا آدم ، أو حتى شجعته على الأكل من الشجرة المحرَّمة .. وعليه فإنا نعتذر لأمّنا العظيمة - أم البشر جميعا - من تطاول بعض الجهلاء عليها ، ونستغفر «الله» تعالى لنا ولهم .

---

(٧) طه :١١٦ : ١٢٠ . (٨) البَقَرة :٣٧. (٩) طه : ١١٥.

السَّيِّدَةُ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ

☐ كانت زوجة لِرجُلٍ لم يكتف بمُلْكٍ لا يُدانيه مُلْكٌ؛ فزعم أنه إلٰه!.. واسْتَخَفَّ قومه فأطاعوه ، وعبدوه من دون «الله» !!.

كانت تعيش فى ظل مَجْد هذا الرجل وسُؤددِه ، يحيط بها الخدَم ، والحَشَم ، والجوارى ، والحُرَّاس ، وكانت القصور التى تقيم فيها مع زوجها قصورا يفوق وصفُها الخيال ..

نعيم ، وجاه ، ومال ، وجمال ، وكنوز تتضاءل إلى جوارها كنوز كِسْرى ، وأباطرة الرومان .. ومع ما كانت فيه من البهرج ، والزخرف ، وزينة الدنيا ، وما تُعامَل به من الخاصة والعامة على أنها زوجة الرَّبِّ الأعلى إلا أنها غَضَّت الطرف عن كل ذلك ، واتَّجَهَت بكُلِّيَّتها إلى الإلٰه الحق رب السماوات والأرض هاتفة من أعماقها :

﴿ ... رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1]

فلم تكن (رضى الله عنها) راضية عن أفعال زوجها من عُلُوٍّ ، وتكبُّرٍ ، وفساد فى الأرض ، وتعذيب لبنى إسرائيل ، وتقتيل لأولادهم .. إلا أنها كانت تحسن معاشرته ، وتخفى إيمانها بـ«الله» عنه ، ولقد كان من فضل «الله» عليها أن اصطفاها لتكون أُمًّا لموسى

(١) التحريم : ١١ .

(عليه السلام) فما أن وقعت عيناها عليه حتى قالت لزوجها الذى همَّ بقتْلِه :

﴿..قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾[٢]

واستجاب فِرْعون لطلبها رغم عِلْمه بنبوءة الكُهَّان من أن مُلْكه سوف ينهار على يد غلام من بنى إسرائيل ، مما يدُلُّ على عُلُوِّ منزلتها عنده ، وتمكُّنِ حُبِّها من قَلْبِه ، بل الأغرب من ذلك أن يأمر فرعون بالتماس المراضع لهذا الوليد ، وتستبدل الواحدة منهن بالأخرى لرفض الوليد أن يرضع منها .. وهكذا حتى جاءت أمه (رضى الله عنها) فتمسَّك بثديها و لم يرض عنه بديلا تحقيقا لوعد «الله» عز وجل لها بقوله : ﴿...إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ...﴾[٣] .

وعاش موسى متمتعا بحنان أمه – التى اعتقد الجميع أنها مجرد مرضعة رضى عنها الصبى – ورعاية السيدة آسية (رضى الله عنها) التى آمنت بـ«الله» من قبل أن يُبْعث موسى ، ثم آمنت بموسى بعد بعثته (عليه السلام) .. ولقد ضرب «الله» بها المثل للمؤمنين والمؤمنات فى كل مكان وزمان فقال :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤]

---

(٢) القصص : ٩ (٣) القصص : ٧ . (٤) التحريم : ١١ .

بل ولقد اصطفاها «الله» تبارك وتعالى لتكون زوجة لسيد الأوَّلين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (ﷺ) فى الجنة .

وهى واحدة من أربع نساء فى الوجود كله من لدن آدم حتى تقوم الساعة هن سيدات نساء العالمين : «**آسِيَةُ بِنْتُ مُزاحِمٍ ، مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَان ، خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِدٍ ، فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ**» ..

ويقول النبى (ﷺ) :

«**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، ولَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ :
آسِية بِنْتُ مُزَاحِمٍ اِمْرَأةُ فِرْعَونَ ، ومَرْيَمُ بنْت عِمْرَان**»[٥] .

ومما يُلْفِتُ النظر فى هذه القصة أن تمسُّك السيدة آسية بالإبقاء على حياة سيدنا مُوسى كان دافعه الحب العارم ، والتعلق الشديد الذى أحسَّته فى قلبها نحوه ببركة قول «الله» عز وجل فى شأن موسى :

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[٦] مما جعل كل من تقع عينه على موسى يشعر بالحب نحوه ، حتى فرعون الذى لم ينكر على زوجته قولها له :

﴿...قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ...﴾[٧] ..

فالقلوب بِيَد «الله» يُقَلِّبُها كيف شاء ، ومن أحبَّه «الله» أحبَّه كل الخلائق ، ومن أبغضه «الله» كرهه كل الخلائق .

هذا .. وقد مضى على هذه القصة آلاف السنين تنعم فيها السيدة آسية بالرُّوح والريحان ، ويُعَذَّب فرعون صباح مساء .. فالدُّنيا عمرها قصير ، وزادها قليل ، وخطرها حقير ، وما عند «الله» خير وأبقى .

(٥) عن أبى موسى (رضى الله عنه) البخارى (٣٤١١).(٦) طه : ٣٩ . (٧) القصص : ٩ .

السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ

☐ كانت امرأة (عِمْرَان) امرأة صالحة تَقِيَّة ، تعيش فى بيئة صالحة يسوسها الأنبياء من بنى إسرائيل كزكريا (عليه السلام)، وقد حملت بعد طول انتظار ، فأرادت أن تُعَبِّر عن شكرها «لله» فنذرت ما فى بطنها للمِحْرَاب ، وهى تتوقَّع وترجو أن يكون المولود ذَكَرًا ليكون مؤهَّلا لخدمة العُبَّاد والزُّهَّاد فى المعبد ، مُتفرِّغًا لدراسة علوم الدين ... ولصدق نِيَّتِهَا ، وخلوصها «لله» تقبَّل «الله» منها هذا النذر ، وبارك فيه فكان أن ولدت فتاة وسمَّتها (مَرْيَم) .. وكان وقع المفاجأة عليها شديدا ؛ فليس الذَّكَر كالأُنْثى حيث لا تصلح الأُنثى لخدمة المعبد ، أو مخالطة الرجال .. ومع ذلك صمَّمت على الوفاء بنذرها فذهبت بالوليدة إلى المعبد ، ووضعتها بين أيدى الأَحْبَار ليروا فيها رأيهم .. ولصدق بصيرة مَنْ رأوها ، وصفاء سرائرهم،وعلمهم بصلاح امرأة (عمران) وتقواها توقَّعوا لهذه الوليدة شأنا عظيما ، فتنافسوا على كفالتها،ورعايتها ، ولم يجدوا مخرجا للنزاع إلا الاستهام والاحتكام للقُرْعَة ، فأتى كل واحد منهم بسهْم ، وكتب عليه اسمه ، واتفقوا على إلقاء السهام فى ماء جارٍ ، فمن وقف سهمه ولم يجر مع الماء فهو صاحب الحق فى الكفالة باختيار «الله» له ... ووقف سهم زكريا (عليه السلام) وفاز فى القرعة التى أُجْرِيَتْ ، وكان أحق الناس بها ، إذ هو : زوج خالتها ، ومن محارمها ، بالإضافة إلى كونه نبيًّا يُوحى إليه .. مما أكد علو منزلة هذه الوليدة ورعاية «الله» لها حيث جعل كفالتها لزوج خالتها وأتقى الناس فى عصره ..

وهُيِّئت غرفة خاصة للوليدة فى المعبد تشبُّ وتترعرع فى أطهر الأماكن وأقدَسِها ، ولا يدخل عليها محرابها إلا زوج خالتها وكافلها زكريا (عليه السلام) .. ورغم الآمال التى كان يعقدها زكريا على هذه الفتاة المنذورة «لله» إلا أن ما حدث فاق كل التوقعات : إذ كلما دخل عليها غرفتها الخاصة وجد عندها طعاما ليس من جنس ما يأكلون أو يعهدون ؛ مما جعله يسألها سؤالا مباشرا : **من أَيْنَ لَكِ هَذا** ؟!! فأجابته ببساطة ووثوق : **هو مِنْ عِنْد الله إن الله يرزُق من يشاءُ بغير حساب** .. وأدهشت الإجابة زكريا (عليه السلام) ، وذكَّرته بما استقرَّ فى عقيدته ووجدانه ، وأيقظت الأمل فى نفسه بأن يكون له ولد من صلبه يرث منه النُّبوَّةَ التى ورثها من آبائه رغم عقم امرأته وكبر سِنِّه ؛ فإن «الله» يرزق من يشاء بغير حساب ، وهو خالق الأسباب والمسبِّبات ، وانتهز فرصة وجوده فى هذا المحراب المبارك وتوجَّه إلى «الله» ضارعا بهذا الطلب .. فلم ينته من سؤاله حتى بشَّرته الملائكة باستجابة «الله» لدعائه ، فخرج على الناس يأمرهم بإقامة الصلوات شكرًا «لله» على مَنِّه وكرمه ..

وتتنزَّل الملائكة على مريم العذراء تأمرها بمداومة التَّهجُّد ، والصلاة ، والتفرغ للعبادة ؛ فقد كفاها «الله» مئُونة الرزق ، والبحث عنه ، أو الجهد فى تحصيله .. وتأتى المفاجأة الكبرى ببُشْرى الملائكة بحملها للمسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين ، ويكلِّم الناس فى المهد وكهلا ، ومن الصالحين .. وتتعجَّب مريم من هذا الأمر وكيف يكون ؟! وهى العذراء البتول التى لم يقربها رجل ، بل ولم يرها رجل إلا كافلها وزوج خالتها زكريا (عليه

السلام) وتأتيها الإجابة واضحة وضوح الشمس : **إن «الله» يخلق ما يشاء** .. نعم فقد خلق «الله» آدم من غير أب وأم ، وخلق حواء من أب وهو آدم ؛ فقد خُلِقَت من ضلع من أضلاعه ومن غير أم ، وها هو يخلق عيسى من أم ومن غير أب فتكتمل دائرة الإعجاز ، ويعلم الناس ، **أن «الله» : يخلق بالأسباب ، ويخلق دون حاجة للأسباب ؛ فهو سبحانه خالق الأسباب والمسببات ..**

وتستسلم مريم لأمر «الله» ، وتبتعد عن الأنظار حاملة لهذا النور الجديد الذى منّ «الله» به على بنى إسرائيل لِيحِلّ لهم الطيبات ويُحَرِّم عليهم الخبائث ، **ويرفع عنهم بعض العقوبات التى فرضها «الله» عليهم** لعصيانهم فى بعض الأمور وتعنُّتهم مع أنبيائهم السابقين .

وتأتى ساعة الوضع ، وتضطرب السيدة العذراء ، ورغم بُشرى الملائكة لها ، إلاَّ أن المشاعر البشرية تجعلها تتمنَّى الموت وتلجأ إلى مكان بعيد، وتتشبَّث بجذع نَخْلة ، ويخرج الوليد المبارك إلى الدنيا آمرا وموجِّها ... رحيما وحانيا .. يتكلَّم بكلام الرجال ، وبمنطق الأنبياء ، والمرسلين ، ويطمئن أمه ، ويأمرها بالصيام عن الكلام ، فقد انتهى دورها ، وأدَّت رسالتها التى اصطفاها «الله» لها ، وبدأ دوره هو الذى اصطفاه «الله» له ، ويشير القرآن لهذا الأمر إشارة بليغة فى غاية الإعجاز حيث تقصُّ الآيات من سورة (مريم)[1] القصَّةَ كاملة حتى أتت به قومها تحمله فاتهموها تهمة شنيعة باطلة ، وتتوقَّف القصة عند قول الله عز وجل : ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ ﴾[2] وهنا ينطق المسيح عليه السلام مُبرِّئًا لأمّه ، مبيِّنا لرسالته ، وتتوقَّف الآيات عن الكلام

(١) سورة مريم : من ١٦ : ٣٤ .
(٢) مريم : ٢٩ .

عن السيدة مريم تماما ، ويبدأ الكلام عن المسيح عليه السلام وقصته مع بنى إسرائيل وما لقيه منهم ... فقد أدت السيدة العذراء أعظم دور فى التاريخ وأى دور ..

ومما يُلْفِتُ النظَر فى قصة هذه السيدة العظيمة أن الرزق كان يأتيها دون جهد منها ، أو سؤال حين كانت متفرِّغة للعبادة ، ولما وضعت حملها أمرها وليدها أن تبذل الجهد فى هز الشجرة حتى يسْقُط عليها الرُّطَب جَنِيًّا فى الوقت الذى يتوقع الإنسان بعقْلِهِ القاصر بأنها فى حاجة إلى الرعاية والخدمة بعد الوضع .. فلماذا لم يأتها الرزق من السماء كما كان يحدث من قبل ؟!!..

إنه دور الأم الذى هو أعظم الأدوار فى هذه الحياة الدنيا على الإطلاق .. إنه الجهد المبذول فى رعاية الأبناء ، والحنو عليهم .. إنه تزويد الدنيا بالرجال الذين يحملون الأمانة فى عمارة الأرض .

هذا ولقد ضرب «الله» بالسيدة مريم المثل للمؤمنين والمؤمنات فى كل مكان وزمان بقوله : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[٣] .

ويُبَشِّرُ رسول الله (ﷺ) نساء أمته بقوله :

«إذَا صَلَّتْ المرْأَةُ خمْسَها ، وصَامَتْ شَهْرَهَا ، وحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، دَخَلَتْ مِنْ أَىِّ أَبْوَابِ الجنَّةِ شَاءَتْ»[٤] .

---

(٣) التحريم : ١٢ . (٤) رواه الإمام أحمد بن حنبل فى «المُسْند» (١٩١/١) .

السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ

□ كانت السيدة خديجة عربيَّة قُرَشِيَّة من أوسط نساء قُرَيْشٍ نَسَبًا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا ، وكانت متزوجة من هِنْدِ بن النَّبَّاش ابن زرارة ، وقد أنجبت منه هند وهالة ، لذا كان يُكنى بأبى هالة ، وبعد وفاته تزوجها عتيق بن عائذ أو بن عابد كما ورد فى بعض الكُتُب ، وقيل أيضا بعكس ذلك أى أنها قد تزوجت من عتيق أولا ثم من أبى هالة .

وبوفاة الزوج الثانى أصبحت السيدة خديجة أَيِّمًا ، وكانت تاجرة تستأجر الرجال فتضاربهم على شىء من مالها بأن تمنحهم أجرًا مقابل الاتِّجار فى مالها .. فأرسلت إلى محمد بن عبد الله الصادق الأمين الشريف القُرَشِيِّ تستأجره على مالها ، وسار فى تجارتها إلى الشام ، وأرسلت معه غلامها مَيْسَرَة يخدمه ، ويكون لها عينًا عليه ، وعند عودته (ﷺ) أرسل مَيْسَرَة يسبقه إليها مُبَشِّرًا بعودة تجارتها سالمة رابحة ، فلما سألته عنه أجاب أنه لم يصادف فى معاملاته صادقًا كهذا الصادق ، أو أمينًا كهذا الأمين ، أو شريفًا كهذا الشريف ، وأنه قد نزل تحت شجرة إلى جوار راهب ، وأن هذا الراهب استدعى مَيْسَرة يسأله عنه قائلاً : **ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نَبِيٌّ** .. ثم أضاف مَيْسَرَة ملحوظة له وهى أنه كان يُظَلَّل بالغمام حيثما حل أو ارتحل .. وانتظرت السيدة خديجة مقدم مُحَمَّدٍ ، واستقبلته .. وما إن تحاسَبَا حتى أرسلت تخطبه لنفسها قائلة : **إنِّى رَغِبْتُ فِيكَ**

لقَرابتكَ مِنِّى ، وشَرَفِكَ فى قَومِكَ ، وأَمَانتِك عندهم ، وحُسْنِ خُلُقِكَ ، وصِدْقِ حَدِيثِكَ .. فلما عَرَضَ الأمر على أعمامه دخل السرور على قلوبهم ، وذهب معه عمُّه حَمْزَة إلى عم خديجة عَمْرو ابن أسد – وفى بعض الروايات إلى أبيها خويلد بن أسد – لخطبتها ؛ فَقَبِلَ وقال : كَرِيمٌ طَلَبَ الكَرِيمَ ، وتزوَّجها ، وأصدقها بأربعة نوق ، وكان عمرها فى ذلك الوقت أربعين سنة بينما كان عمره خَمْسًا وعشرين سنة ، ولم يسبق له الزواج .. ورغم هذا الفارق فقد كان شرفا عظيما وأملا لآل طالب أن يتزوَّج أحدُهُم من السيدة خديجة ، وقد عاش النبىُّ (ﷺ) كإنسان عادى معها قبل الرسالة خمسة عشر عاما حيث جاءته الرسالة وهو فى سن الأربعين ، وخلال هذه الفترة ، ورغم أنه كان يُسمح للعربى أن يتزوج بلا حدود – بخلاف الإماء والبغاء – فإنه لم تجتمع مع السيدة خديجة على فراش النبى (ﷺ) امرأة أُخرى مما يُؤكِّد لنا كيف كانت السيدة خديجة نعم الزوجة ، ونعم الأم ، ونعم الرفيق ، ونعم الوزير والمشير .. كما يبرز إلى أى مدى كانت عِفَّةُ هذا الزوج حتى عن الحلال .

وحين جاءته الرسالة ، وفاجأه الوحى وهو يتعبَّد فى الغار ، وعاد إلى بيته يرتجف ، ويقول : «زَمِّلُونى زَمِّلُونى» ، استقبلته ، وهدَّأته قائلة له : «والله لَنْ يُخْزِيَكَ الله أَبَدًا ؛ فإنَّكَ تَصْدُقُ الحَدِيثَ ، وتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتقْرِى الضَّيْفَ ، وتُكْسِب المعدُومَ ، وتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ»[1] .

---

(١) عن عائشة (رضى الله عنها) رواه البخارى فى صحيحه ك: الإيمان ب: بدء الوحى (٣) .

وكانت السيدة خديجة بإجماع الكافة أول من أسلم على الأرض ، وقد أوتيت من الحِكْمَة ما لم يُؤْت الرجال ؛ فحين رأى النَّبِىُّ (ﷺ) جبريل على هيئته الحقيقية سادًّا بعظم خَلْقِه ما بين السماء والأرض ، وله ستمائة جناح كاد يُغْشى عليه وعاد إلى بيته مرتجفا خائفا يقول : **«دَثِّرُونى دَثِّرُونى»** فإذا بها تسأله أن يخبرها حين يراه – وكان وحده الذى يراه – فلما أخبرها رفعت غطاء رأسها وأسدلت شعرها وسألته عما إذا كان مازال يراه ، فأجابها بأنه انصرف ، فقالت له : **«والله مَا هَذَا بِشَيْطَانٍ ، إن هُوَ إلا مَلَكٌ كَرِيمٌ»**[٢] .

وقد أنجب الرسول (ﷺ) من السيدة خديجة من قبل البعثة كلا من : السيدة **زينب** ، والسيدة **أم كُلْثوم** ، والسيدة **رُقَيَّة** ، والسيدة **فاطمة** .. وقيل أنه أنجب أربعة أولاد هم : **القاسم** ، **والطيب** ، **والطاهر** ، **وعبد الله** .. والمؤكَّد من أبنائه القاسم لأنه كان يكنى به ، وقد توفى بعد أن كبر ومشى ، ويرى البعض أن الطيب والطاهر هما أسماء لعبد الله الذى مات وهو رضيع ، وأيا كانت الحقيقة فإن الأولاد الذكور قد ماتوا جميعا وهم صغار ، أما البنات فقد عِشْن جميعا إلى ما بعد البعثة، والهجرة، ولكنهن مُتْنَ جميعا قَبْلَه (ﷺ) ، ولم تبق إلا السيدة فاطمة التى لحقت به بعد ستة أشهر من وفاته ، ولم ينجب عليه الصلاة والسلام من غير السيدة خديجة سوى إبراهيم من السيدة مارية والذى مات صغيرا .

وتقول السيدة عائشة عن حب النبى (ﷺ) للسيدة خديجة :

---

(٢) الاستيعاب لابن عبد البَرّ: ٣٣١١ (١٨٢٠/٤) والإصابة: ١١٠٨٦ (٦٠١/٨) .

ما غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ غَيْرَتِى عَلَى خَدِيجَةَ ، وما بِى أَنْ أَكُونَ أَدْرَكْتُها وذَلِكَ لَكَثْرَةِ ذِكْرِ النبى (ﷺ) لها ، فَقَلَّمَا كَانَ يخرجُ مِنْ عِنْدِى إلا ويَذْكُرُها فَيُحْسِنُ الثَّناءَ عَلَيْهَا ، فَذَكَرَها يومًا مِن الأَيَّامِ فَأَدْرَكَتْنِى الْغيرَةُ فَقُلْتُ : هَلْ كانَتْ إلا عَجُوزًا ؟! فقد أَبْدلَكَ الله خَيْرًا مِنْها .. فغضب النبى (ﷺ) غضبا شديدا حتى اهتزَّ مقدم شعره وقال : «**لاَ والله ما أَبْدَلَنِى الله خَيْرًا مِنْهَا ؛ فَقَدْ آمَنَتْ إِذْ كَفَر النَّاسُ ، وصَدَّقَتْنِى وكَذَّبَنِى النَّاسُ ، ووَاسَتْنِى فِى مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِى النَّاسُ ، ورَزَقَنِى الله تبارك وتعالى مِنْهَا أَوْلاَدًا إِذْ حَرَمَنِى أَوْلادَ النِّسَاءِ**»[3] وخرج مغضبا ، فقلت فى نفسى : **لا أذكرها بسَيِّئَةٍ أبدا** .

وقد كانت قريش - رغم مراعاتهم للسيدة خديجة - تُؤذى النبى (ﷺ) طوال ثلاثة عشر عاما عاشها فى مكة إلى أن هاجر ، ولم يكن يجد من يسرى عنه إلا السيدة خديجة التى كانت تثبته ، وتخفف عنه ، وتصدِّقه ، وتهوِّن عليه أمْرَ الناس ، وقد اشتدَّ أذاهم للنبى بعد موت أبى طالب ، ثم بعد موتها .

وقد جاء الأجل للسيدة خديجة بعد موت أبى طالب بأيام حيث ماتت قبل الهجرة بثلاثة أعوام .. وسُمِّى العام الذى ماتت فيه بعام الحُزْنِ ؛ فقد حزن النبى (ﷺ) عليها حزنا شديدا ، ولما مرضت مرض الموت دخل عليها يقول : «**بالكُرْهِ مِنِّى ما أَتْنِى عَلَيْك ياخَدِيجَةُ ، وقَدْ يَجْعَلُ الله فى الكُرْهِ خَيْرًا كثيرًا ، أَمَا عَلِمْتِ ياخديجة**

(٣) البخارىُّ ك : المناقب (٣٨١٨) .

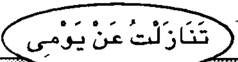
أن الله زوَّجَنِى مَعَكِ فى الجنة مريمَ بنت عِمْرَان وكَلْثم أخت مُوسى وآسية امْرَأَةَ فِرْعَون» .. فقالت : **وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ يارَسُولَ الله ؟!** . قال : «**نَعَمْ**» .. قالت : **بالرِّفَاءِ والبَنِينَ وبشَّرها رسول الله** (ﷺ) **ببيتٍ فى الجنَّة من قَصَبٍ ، لا صَخَبَ فِيهِ ولا نَصَب»**[٤] .. وقد ماتت عن خمسة وستين عاما ، ودفنت بمكة بالحجون[٥] ، وقد قال فيها النبى (ﷺ) : «**أفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ : خَدِيجَةُ بنت خُوَيْلد ، وفَاطِمَةُ بِنْتُ محمد ، ومَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَان ، وآسيةُ امْرَأةُ فِرْعَوْن**»[٦] .

والسيدة خديجة هى أم الذرية التى أنجبها النبى (ﷺ) فهى أم السيدة فاطمة ، والتى جاءت منها ذُرِّيَّة النبى (ﷺ) إلى يوم الدين ، وقد ماتت (رضى الله عنها) قبل أن تُفْرَض الصلاة ، أى أنها بلغت هذا المقام وهذه الدرجة العالية ، والمنزلة الرفيعة ، ولم تُصلِّ الصلاة المفروضة ، ولم تحظ من أركان الإسلام إلا بركن واحد هو : «لا إله إلا الله» حيث فُرِضَت الأركان الأربعة الأخرى بعد ذلك .. وما ذلك إلا بحُسن معاشرتها لرسول الله (ﷺ) ووقوفها إلى جواره فى رحلة الدعوة إلى «الله» ، ومواساتها له بنَفسِها ، ومالها ، ويقينها بصدقه،وحنانها الدافق عليه (رضى الله عنها وأرضاها) .



---

(٤) عن عائشة (رضى الله عنها) فى الصحيحين ، وفى الإصابة (٦٠٢/٨) ، وجمع الفوائد (٨٩٦٦/١) .
(٥) الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٢٥/٤) .
(٦) بروايات متعددة عن أنس ، وابن عباس (رضى الله عنهما) أبوداود وبنحوه عن على رفعه فى البخارى.



السَّـيِّدَةُ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بن قَيْس

☐ كان رسول الله (ﷺ) وحيدا بعد موت سَيِّدَة نساء العالَمِين ، فجاءته خولة بنتُ حَكِيمٍ تعرض عليه أن يتزوَّج من امرأة ثَيِّبٍ صالحة تَقِيَّة آمَنَت به واتَّبَعَتْه ، فوافق قائلا : «**فَاذْكُرِيها عَلَيَّ**» .. فذهبت إليها وقالت : **ما أدخل الله عليكم من الخَيْرِ والبركة!!**.. قالت : **وماذاك ؟!**.. قالت : **أرْسَلَنِي رسولُ الله (ﷺ) أخطُبُكِ عَلَيْهِ ..** قالت : **وَدِدْتُ .. ادْخُلِي على أبى فاذْكُرى ذلك له** – وكان شيخا كبيرا – فدخلت عليه ، وقالت له الخبر – فقال : **كُفْء ، كريم فماذا تقول صاحبتك ؟**.. قالت : **تُحِبُّ ذلك** .. فاستدعاها وسألها فوافقت فزوَّجها منه (ﷺ)[1] .. وكان أخوها غائبا فى سفر فعاد وعلم بالخبر فأخذ يحثو التراب على رأسه ؛ فقد كان مُشْركا ، ثم هداه «الله» للإسلام ، فكان يقول بعد إسلامه : **إنى لَسَفِيهٌ يومَ أحثو التراب على رأسى أن تزوج رسول الله (ﷺ) من أختى** .. وعاشت (رضى الله عنها) حتى أسنَّت عند رسول الله (ﷺ) وكانت امرأة ثقيلة ثبطة فخشيت أن يُطَلِّقها ؛ فقالت : **لا تُطَلِّقِنِي ، وأَمْسِكْنِي ، واجْعَلْ يومى لِعَائشةَ**[2] .. ففعل ، ونزل قول «الله» تعالى : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾[3]

---

(١) أخرجه ابن سعد ، وروى ابن إسحاق بنحوه ، الإصابة : ١١٣٥٧ (٨/٧٢٠) .

(٢) عن عائشة (رضى الله عنها) البخارى (٥٢١٢) ، الاستيعاب : ٣٣٩٤ (٤/١٨٦٧) ، الإصابة ١١٣٥٧ (٨/٧٢٠) .

(٣) النساء : ١٢٨ .

فكانت سُنَّة بعد ذلك : **أن تتنازل الزوجة عن حقوقها الزوجية مقابل أن يبقيها زوجها فى عِصْمَته** .. وقد احتجبت (رضى الله عنها) من أخ لها مشكوك فى نَسَبِهِ حتى ماتت فى آخر خلافة عمر بن الخطاب[٤] ، وقد قضى رسول الله (ﷺ) فى شأنه بأن يكون: **«الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، ولِلْعَاهِرِ الحَجَر»** وأصبحت قاعدة فى الإسلام بخصوص ثبوت النسَب حيث **يثبت النسب فى الإسلام بأربعة أمور :**

١ - **ثبوت النسب بالفراش** ، وذلك بالعقد على الزوجة والدخول بها .

٢ - **ثبوت النسَب بالاستلحاق** ، ويكون باعتراف من الرجل وإقراره بأنه قد عاشر المرأة معاشرة الأزواج .

٣ - **ثبوت النَّسب بالبيِّنة** ، أى بالشهود العدول حتى وإن أنكر الأب .

٤ - **ثبوت النسب بالقافة (أى بالشبه)** ، وكان يقوم بها قديما رجال متخصصون والآن فالطب الشرعى يقوم بذلك .

هذا ويلاحظ من قصة السيدة سَودَة (رضى الله عنها) مدى حِرْصها على إرضاء النبى (ﷺ) ، وبقائها معه ؛ لتنال شَرَف لقب : **«أم المُؤمنين»** ، وكى تَظَلَّ زوجة له (ﷺ) فى الدنيا والآخرة .. كما يُلاَحظ أن المعاشرة الزوجية ليست شَرْطًا من شروط استمرار العلاقة الزوجية ، أو السعادة بين الزوجين ؛ إذا تنازلت الزوجة عن هذا الحق بمحض اختيارها ورضاها .

---

(٤) يُرَاجع حديث البخارى رقم (٦٨١٧ ، ٦٨١٨) باب : للعاهِر الحَجَر .

السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

□ هى أَحَبُّ نِساء النبى (ﷺ) إليه الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ ، وقد عَرَض سَيِّدُنا جِبريل على النبى (ﷺ) صورتها على حرير أخضر وأراها له فى منامه ، وقال : **يامحمَّدُ ، هِىَ زَوجَتُكَ فى الدُّنْيا والآخِرَةِ**[1] .. وقال فيها رسول الله (ﷺ) : «**فَضْلُ عَائِشَةَ على النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»[2] ، وقد سأل عمرو بن العاص رسول الله (ﷺ) **عن أحبِّ الناس إليه** فقال : «**عائشة**» ، قال : **من الرجال يارسول الله** ؟ قال : «**أبوها**»[3] ؛ حقًّا فهى الصِّدِّيقَةُ بنت الصِّدِّيق التى نَزَل فِيها قُرْآن يُتْلى .

وبعد وفاة السيدة خديجة مباشرة جاءت امرأة عُثمان بن مظعون خولة بنت حكيم إلى رسول الله (ﷺ) وقالت له : **يارسولَ الله ، ألا تتزوج ؟!..** فقال : «**مَنْ**» ؟ قالت : **إن شِئْتَ بِكْرًا ، وإن شِئْتَ ثَيِّبًا** .. قال : «**فَمَن البِكْر ؟**» .. قالت : **بنت أحبِّ خَلْقِ الله إليكَ عائشةُ بنتُ أبى بَكْر** .. قال : «**فَمَن الثَّيب ؟**» .. قالت : **سَودَةُ بنتُ زَمْعَة .. آمنتْ بكَ ، واتَّبَعَتْكَ على ما أنتَ عَلَيْهِ** .. فقال (ﷺ) : **فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**» .. **فتوجَّهت** إلى بيت أبى بكر الصديق ، وعرضت عليه الأمر فسأل إن كانت تصلح له وهى ابنة أخيه ؛ فرجعت إلى

(١) عن عائشة (رضى الله عنها) بنحوه ، مسلم (٢٤٣٨) .
(٢) عن أبى موسى الأشعرى ، وأنس (رضى الله عنهما) البخارى (٣٧٦٩ ، ٣٧٧٠) ، ومسلم (٢٤٤٦) . (٣) عن عمرو بن العاص (رضى الله عنه) الاستيعاب : ٤٠٢٩ (١٨٨٣/٤) .

رسول الله (ﷺ) وأجابها بنَعَمْ حيث أنه أخوه فى الإسلام فلا تحريم ، ففرح سيدنا أبو بكر بذلك وزوَّجها لرسول الله (ﷺ) وكان عمرها حينئذ ست سنوات[٤] ، ثم بنى بها (جَمَعَهُمَا بناء واحد) وعمرها تسع سنوات ، أما هو فكان عمره خمسين عاما – ولكنها إرادة «الله» تبارك وتعالى – وكان عقد قرانهما قبل الهجرة بثلاث سنوات .. ولما تُوفِّيت كان ذلك سنة سبع وخمسين من الهجرة أى بعد حوالى سِتِّين سنة من الزواج ، وبعد وفاة النبى (ﷺ) بسبع وأربعين سنة كانت تُدَرِّس فيها للصحابة والتابعين .. ويقول عُروة وهو ابن أختها : **ما رأيتُ أحَدًا أعلَمَ بِفقْهٍ ، ولا طِبٍّ ، ولا شِعر ، مِن عائشة**[٥] .. وقد كان الصحابة يسألونها فى علم الفرائض (المواريث) وهو من أصعب علوم الشرع .. وقد روت الكثير من الأحاديث عن النبى (ﷺ) .

والسيدة عائشة تُكنى بأم عبد الله ، وكان عبد الله بن الزبير ابن أختها ، وبلغ من حنان رسول الله (ﷺ) على هذه الزوجة الصغيرة أنه ذات يوم فى إحدى السفرات فُقِدَ لها عِقْد ، فأمر رسول الله (ﷺ) الناس بالتماس عقدها مما أدى إلى نفاد ما معهم من ماء ، الأمر الذى دعا سيدنا أبا بكر أن يدخل عليها ورسول الله (ﷺ) نائمًا واضعا رأسه فى حجرها فطعنها فى خاصرتها قائلا : **حَبَسْتِ الناسَ وحَبَسْتِ رسول الله على غَير مَاء** .. وما يمنعها عن التحرك إلا أن رأس رسول الله (ﷺ) فى حجرها ، وكان ذلك سببا فى نزول آية التيمُّم :

---

(٤) عن عائشة (رضى الله عنها) الإصابة :١١٤٥٧ (١٦/٨) .

(٥) عن عروة (رضى الله عنه) للكبير ، وفى جمع الفوائد (٨٩٨٢/٧) .

﴿...فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا...﴾[6]

فكانت رحمة لِلأُمَّة ، الأمر الذى دعا أُسَيْدَ بنَ حضير أن يقول : **ما هَذِه بأوَّلِ بركاتكم يا آل أبى بكر**[7] .. وكانت السيدة عائشة تغار على رسول الله (ﷺ) جدا رغم صغر سِنِّها ، وكذلك كان النساء يَغِرْن منها ، وفى إحدى الليالى ورسول الله (ﷺ) نائم عندها ، استيقظت فلم تجده بجوارها ، والْتَمَسَتْه فى حجرات نسائه فلم تَجِدْه وإنما وجدته فى المسجد ساجدًا كالثوب الخَلِق وسمعته يقول : «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكةِ والرُّوح ، سَجَدَ لك سَوَادِى ، وخَيَالى ، وآمَنَ بِكَ فُؤَادِى ، وأَقَرَّ بِكَ لِسَانِى ، وهأنذا بين يَدَيك ، ياعظيمٌ ، يامَنْ تَغْفِرُ الذَّنْبَ العَظِيمَ**» فعادت إلى فراشها تجرى وقد تتابعت أنفاسها، فلما دخل (ﷺ) فراشه سمعها فقال لها :

«**ياعائشة ، أظَنَنْتِ أنّى أُخونُكِ فى لَيْلَتكِ ؟!**»[8] .

وفى إحدى المرَّات غارت السيدة عائشة من إحدى نساء النبى (ﷺ) وكان يُحِبُّ أن يشرب عندها شربة عسل فأوعزت إلى السيدة حَفْصَةَ أن تلوح له بأن رائحة فمه متغيرة كما لو كان قد أكل المغافير[9] (وهو شراب يشبه العسل ولكن رائحته كريهة) – وكان (ﷺ) يهتمُّ بطيب رائحته دائما – فحرَّم على نَفْسِه هذا الشراب ؛ فنزل سيدنا جبريل يقول :

(٦) النساء : ٤٣ . (٧) عن عائشة (رضى الله عنها) البخارى (٣٧٧٣) بنحوه .
(٨) عن عائشة (رضى الله عنها) بنحوه عند مسلم (٤٨٥ ، ٤٨٦) .
(٩) عن عائشة (رضى الله عنها) بنحوه ، البخارى (٤٩١٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(١٠)

ثم أظهر «الله» له الحق ، وأبان ما أَسَرَّتْهُ زوجاته فأنزل تهْدِيدَه ·

﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾(١١)

كما نزل التهديد الثانى بعد ذلك :

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ .. ﴾(١٢)

وحين توسَّعَت الفتوحات ، وكثرت الغنائم اجتمع نساؤه عليه وطالبْنَه بأن يوسِّع عليهن بعض الشىء وقد وسَّع «الله» عليه ، فغضب حيث أراد لهن أن يَتَقَشَّفْنَ حتى لا يأخذن أجرهن فى الدنيا ، وإنما فى الآخرة ونزلت آية التخيير :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ

---

(١٠) التحريم : ١ ، ٢ (١١) التحريم : ٤ (١٢) التحريم : ٥

سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[13]

وأوَّل من عرض عليها التخيير السيدة عائشة فقالت له : «**لا أختارُ عليكَ أحَدًا أبدًا يارسولَ الله .. ولا أختَارُ عَلَيْكَ شيئًا**»[14] .. وطلب منها ألا تُخْبِرَ نساءه ولكنها لحقت بهن قبله تُحَذِّرُهن وتنصحهُن واختارت صالح النساء وأحبَّت لهن ما أحبَّت لنفسها رغم غيرتها الشديدة .

وكانت سَودَةُ بنتُ زَمْعَة أكثر نسائه حبًّا لها ، فتنازلت لها عن يومها .. وحين مَرِض الرسول (ﷺ) مرض الموت كان يتحرَّى يوم عائشة .. وقد مَاتَ (ﷺ) فى بيت عائشة وهى تقول فى ذلك : **مَاتَ رسولُ الله (ﷺ) فى بَيْتِى ، وفى نَوْبَتِى ، لَمْ أَظْلِمْ فِيهِ أحدًا ، ورَأْسُهُ بينَ سَحْرِى ونَحْرِى** ، وسمعته يقول : **بَلِ الرفيق الأعلى ، بل الرفيق الأعلى** ، فقلت : **بأبى وأمِّى أنتَ يَارسولَ الله ، خُيِّرت فاخْتَرْتَ**»[15] .. وقد آثرت السيدة عائشة سيِّدَنا عُمَرَ على نَفْسِها حين أرسل طالبًا أن يُدفَنَ بجوار الرسول (ﷺ) ، وتنازلت بذلك عما كانت قد أعدَّته لنفسها .

حادثة الإفك :

كان الرسول (ﷺ) حين يسافر يُقْرِع بين نسائه حتى يرضَيْن

---

(١٣) الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ . (١٤) عن عائشة (رضى الله عنها) بنحوه عند البخارى (٤٧٨٥) .
(١٥) عن عائشة (رضى الله عنها) البخارى (٤٤٣٨) .

بما قُسِمَ لهن من نَصِيب .. وفى غزوة (المريسيع) ، أو غزوة (بنى المصطلق) كانت القرعة للسيِّدَة عائشة ، وكان ذلك بعد نزول آية الحجاب ، ولا يعنى بالحجاب غطاء الرأس وإنما حائط أو ساتر يمنع الرؤية تمامًا ، فلم تكن النساء يخرجن إلا بهَوْدَجٍ ، وأُذِنَ لهن استثناء من الحجاب أن يخرجن ليلا لقضاء الحاجة .. وحين أُذِّنَ بالرحيل أرادت السيدة عائشة أن تقضى حاجتها ، وعند عودتها تلمَّسَت عِقْدًا لها على صدرها فلم تجده ، فتأخَّرَت باحثة عنه إلى أن وجدته.. وكان ذلك فى السَّنَةِ الخامسة أو السادسة من الهجرة، أى أن عمرها كان حوالى أربعة عشر عاما ، وكانت خفيفة رفيعة مما لا يشعر معه عند رفع الهودج بواسطة الرجال إن كانت به أم لا ، وإذا بها حين اتَّجهت عائدة إلى الهودج لم تجد داعيا ولا مجيبًا فغلبها النوم .. وكان من وراء الجيش صفوان بن المعطل من أصحاب رسول الله (ﷺ)، ويقول البعض أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يترك دائما عسكرًا فى مؤخرة الجيش ، بينما يقول الآخر أنه كان كثيرا ما كان يغلبه النوم مما قد يكون سببا فى تأخُّرِه عن الجيش ، ووجد صفوان سواد إنسان ، فعرفها وكان قد رأى السيدة عائشة قبل فرض الحجاب ثم قال : **إنا لله وإنا إليه راجعُونَ ، زوجةُ رسولِ الله** .. فلما سمعت صوته استيقظت وغطت وجهها ولم يدر بينهما كلام قط ، وكان مع صفوان بعيره فركبته السيدة عائشة ، وإذا بالناس يجدون السيدة عائشة قادمة على بعير بمفردها ومعها صفوان بن المعطل ، فوقع بعضهم فى الخطيئة ومنهم عبدالله بن أُبَىّ بن سَلُول شيخ المنافقين ، وقد بدأ يثير الشكوك والرِّيبَة ويدعو الناس للخوض فى الكلام ،

وكان من بين هؤلاء حَسَّانُ بنُ ثابت ، ومِسْطَحُ بن أُثَاثَةَ وحمْنَةُ بنتُ جَحْش وهى ابنة عَمَّةِ النبى (ﷺ) .. وقد تصادف أن مرضت السيدة عائشة بالحُمَّى ، ولزمت بيتها راقدة لِمُدَّة شهر ، لا تدرى شيئا عمَّا يدُور بين الناس ، ولم يكن يريبها إلا أنها لم تَجِدْ مِن الرسول (ﷺ) الحنان واللُّطْفَ الذى اعتادته منه حين تمرض وتشتكى وإنما فقط يقول : «**السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته ، كيفَ تِيكُم ؟!..**» فاستأذنت رسول الله (ﷺ) فى أن تُمرَّض فى بيت أبويها فأذن لها .. ولم تشعر بالموضوع إلى أن نقهت والتقت بأم مِسْطح بن أثاثة ، وسمعتها تقول وقد تعثرت فى ثوبها :**تَعِسَ مِسْطَح** .. فتضايقت السيدة عائشة وقالت لها : **بِئْسَ ما قُلْت،أتَسُبِّينَ رَجُلاً شَهِدَ بَدْرًا ؟!** فإذا بها تبادرها قائلة : **أما تَعْلَمِين بما حَدَثَ ؟!** وأبلغتها ، فكانت مفاجأة قاسية للسيدة عائشة الصِّدِّيقة بنت الصديق الشريفة بنت الشريفة زوجة رسول الله (ﷺ) الذى أحَبَّته أكثر من نَفْسها ؛ فوقعت مغْشِيا عليها ، وحين أفاقت سألت أمها عما يقوله الناس ، فطيَّبت خاطرها .. وجاء الرسول (ﷺ) لزيارتها وطلب منها إذا كانت نَفْسُها قد حدثتها بشيء أن تعترف ، وتتوب حتى يتوب «الله» عليها ، فطلبت من أبيها أن يَرُدَّ عنها ، وكذا من أمِّها فبكيَا ولم يتكلما وما من مدافع و«الله» يعلم إنها لبريئة فلَجَأت إلى «الله» تعالى قائلة :

و«الله» لا أقُولُ إلاَّ كَما قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ :

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[16]

---

(١٦) يوسف : ١٨ .

تنزل الوحي ببراءة السيدة عائشة من فوق سبع سموات ، حيث قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٧)

---

(١٧) النور : ١١ : ١٩ .

كما نزل قول الله تعالى :

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُولَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[18]

وقد كان من بين الذين وقعوا فى قصة الإفك وهلكوا المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أُبَىِّ بنِ سَلُول الذى كان صاحب الإشاعة ومروِّجها ، ومنهم بعض المؤمنين ، وكذلك منهم مَنْ شهد (بَدْرا) لذلك فإن «الله» تبارك وتعالى قال فيهم :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ... ﴾[19]

وكذلك فقد نزل الحدُّ ونزلت العقوبة وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[20]

وقد جُلِدَ مِسْطَح بنُ أُثَاثَةَ وهو ممن شَهِدَ (بَدْرًا) ، وكذلك حسَّان بنُ ثابتٍ وكان كثيرا ما مدح الرسول (ﷺ) ، وكثيرا ما هجا المشركين ، وكذلك جُلِدَتْ حمنه بنت جَحْش وهى أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين .. والحدود كفارة لمن أقيمت عليه ،

---

(١٨) النور : ٢٦ . (١٩) النور : ١١ . (٢٠) النور : ٤.

وربُّنا تبارك وتعالى لا يجمع على العبد عقوبتين : عقوبة الحَدِّ فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة .

وقبل نزول آيات البراءة خرج رسول الله (ﷺ) إلى المسجد ، وخطب فى الناس قائلا : «**مَنْ يَعْذُرُنِى مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِى آذاه فى أهْلِى والله ما عَلِمْتُ عنهم إلا خيرًا وقد ذكرُوا رَجُلا ما علمتُ عنه إلا خيرًا ، وما دَخَلَ على أهلى إلا وأنا مَعَهُ**» .. وكأن «الله» تعالى قد أراد أن يَبْتَلِى رسول الله (ﷺ) بهذه القصة كما ابْتَلَى بها سيدنا أبا بكر الصديق والسيدة أم رومان زوجته ، وكذلك كانت ابتلاء وتمحيصًا للسيدة عائشة حتى تَفْتَقِرَ إلى «الله» ، ويشتدَّ افتقارها إليه ، فتلجأ إليه وتيأس من الخلائق - فالتوكُّل يأتى دائما بالفَرَج[٢١] - وهى عبرة للأمة إلى أن تقوم الساعة ..

ولما قطع سيدنا أبو بكر النفقة عن مِسْطَحِ بن أُثاثة - وكان قريبا له فقيرا - بسبب وقوعه فيما وقع فيه الناس ، وترديده للإشاعة نزل قول «الله» تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢٢] ..

فقال أبو بكر : **بلى أُحِبُّ أن يغفر «الله» لى** .. وأعاد النفقة إلى مِسْطَح

---

(٢١) القصة برواياتها عن عائشة (رضى الله عنها) رواها البخارى (٤١٤١) . (٢٢) النور : ٢٢ .

ابن أُثاثة،وأما صفوان بن المعطل فقد ختم «الله» له بخاتمة السعادة ، ورزقه الشهادة .

وقد روى الإمام البخارى فى صحيحه هذا الحديث[٢٣] فقال : كان رسولُ الله (ﷺ) إذا أرادَ سَفَرًا أقْرَع بينَ أزواجه ، فأيتهن خَرجَ سهمُها خرجَ بها رسول الله (ﷺ) معه . قالت عائشة : فأقرَع بينَنا فى غزوة غزاها فخرجَ فيها سهمى ، فخرجتُ معَ رسول الله (ﷺ) بعدَ ما أُنزِلَ الحجابُ ، فكنتُ أُحْمَلُ فى هَودَجى وأُنزلُ فيه . فسِرنا ، حتى إذا فرغَ رسولُ الله (ﷺ) من غزوَتهِ تلكَ وقَفَل ودَنَونا منَ المدينة قَافِلينَ آذنَ ليلةً بالرَّحيلِ ، فقمتُ حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوَزتُ الجيشَ ، فلما قَضيتُ شأنى أقبلتُ إلى رحْلى فلَمستُ صدرى فإذا عِقدٌ لى من جَزع ظَفارٍ[٢٤] قدِ انقطعَ ، فرجعت فالتمسْت عِقدى فحَبسَنِى ابتغاؤه . قالت: وأقبلَ الرهط الذين كانوا يُرحِّلونى فاحتَملوا هَودَجى فرَحَلوه على بعيرى الذى كنت أركبُ عليه – وهم يَحسبونَ أنى فيه ، وكان النساء إذ ذاك خِفافًا لم يَهبُلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللحم ، إنما يأكلن العُلقةَ[٢٥] من الطعام – فلم يَستنكِرِ القومُ خِفةَ الهودج حينَ رفعوه وحملوه ، وكنت جاريةً حديثةَ السِّنّ ، فبعثوا الجملَ فساروا ، ووَجدتُ عقدى بعد ما استمرَّ الجيش ، فجئتُ مَنازِلَهم وليسَ بها منهم داعٍ ولا مجيب . فتيممتُ منزلى الذى كنت بهِ ، وظَننت أنهم سيفقدونى فيرجعونَ إلَىّ . فبينا أنا جالسةٌ فى منزلى ، غَلَبَتْنِى عَيْنِى فَنِمت ، وكان صفوان بن المعطّل

(٢٣) عن عائشة (رضى الله عنها) البخارى : ك – المغازى ، ب – حديث الإفك (٤١٤١) .
(٢٤) مدينة باليمن . (٢٥) ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية .

السُّلَمى ثم الذَّكوانى من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلى ، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم ، فعرفَنى حينَ رآنى ، وكان رآنى قبلَ الحجاب ، فاستيقظتُ باسترجاعه[٢٦] حين عَرفنى ، فخمَّرت[٢٧] وجهى بجلبابى ، ووالله ، ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعه ، وهوَى حتى أناخَ راحِلتَه فوطئَ على يدِها ، فقمتُ إليها فركبتُها ، فانطلقَ يَقود بى الراحلةَ حتى أتينا الجيشَ موغِرِينَ فى نحرِ الظهيرة وهم نُزول . قالت : فهلكَ مَن هلك . وكان الذى تولَّى كِبر الإفك عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلول . قال عروة : **أُخبِرْتُ أنه كان يُشاع ويُتحدَّث به عندَه فيُقِرُّه ويَستمعه ويستوشيه** . وقال عروة أيضًا : **لم يسمَّ من أهل الإفك أيضًا إلا حسّان بن ثابتٍ ، ومِسطح بن أُثاثةَ ، وحَمنة بنت جَحشٍ فى ناسٍ آخرين لا عِلْم لى بهم، غيرَ أنَّهم عُصْبَةٌ– كما قال الله تعالى– وإن الذى تَوَلَّى كِبر[٢٨] ذلك يقال عبدُ الله بن أُبَىٍّ بن سَلولَ** . قال عروة : كانت عائشة تَكرَه أن يُسَبَّ عِندَها حَسانُ ، وتقول إنه الذى قال :

فإن أبى ووالدَه وعِرضى لِعرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

قالت عائشة : فَقدِمنا المدينةَ ، فاشتكيتُ[٢٩] حينَ قدمتُ شهرًا ، والناسُ يُفيضُون فى قولِ أَصحابِ الإفك ، لا أشعُرُ بشيءٍ من ذلك ، وهو يَريبنى فى وَجعى أنى لا أعرِفُ من رسولِ الله (ﷺ) اللطفَ الذى كنتُ أرَى منه حينَ أشتكى ، إنما يَدْخُلُ علَىَّ رسول الله (ﷺ) فيُسلِّم ثم يقول : «**كيفَ تِيكم ؟**» ثم ينصرف ، فذلكَ

---

(٢٦) قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

(٢٧) غطَّيت . (٢٨) إثمه . (٢٩) مرضت .

يرينى ولا أشعُر بالشرِّ ، حتى نَقَهت ، فخَرجتُ مع أمِّ مِسْطحٍ قِبَلَ المَناصِع – وكان مُتبرزَنا ، وكنّا لا نخرجُ إلاّ ليلاً إلى ليل – وذلك قبلَ أن نتَّخذَ الكُنفَ من بيوتِنا ، قالت : وأمرنا أمرُ العربِ الأُوَل فى البريَّةِ قِبَلَ الغائط ، وكنا نَتأذّى بالكنفِ أن نَتَّخذها عندَ بيوتنا . قالت : فانَطلَقتُ أنا وأمُّ مِسطحٍ – وهى ابنةُ أبى رُهم ابن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنتُ صخرٍ بن عامرٍ خالةُأبى بكر الصديق، وابنها مِسطح بن عباد بن المطَّلب، فأقْبَلْتُ أنا وأمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بيتى حينَ فرغنا من شأننا ، فعَثَرتْ أمُّ مِسطحٍ فى مِرْطِهَا فقالت : **تَعسَ مسطحٌ** ، فقلت لها : **بئسَ ما قلتِ ، أتسُبِّينَ رجلا شهِدَ بَدرًا** ؟ فقالت : **أى هَنَتَاهُ ، ولم تسمَعى ما قال** ؟ قالت : وقلت:ما قال ؟ فأخبرَتْنى بقولِ أهل الإفك . قالت : فازدَدتُ مَرضًا على مَرضى . فلما رجَعتُ إلى بيتى دَخل علَّى رسولُ الله (ﷺ) ، فسلم ثمَّ قال : «**كيفَ تِيكم ؟**» فقلتُ له : **أتأذنُ لى أن آتى أبوىَّ** ؟ قالت : وأريدُ أن أستَيقنَ الخبرَ مِن قِبَلهما . قالت : **فأذن لى رسولُ الله** (ﷺ) . فقلتُ لأمى : **يا أُمَّتاهُ ، ماذا يَتحدَّثُ الناس** ؟ قالت : **يابنية ، هَوِّنى عليك ، فو الله لقلما كانت امرأة قَطُّ وَضيئةً عندَ رجلٍ يحبُّها لها ضَرائرُ إلا أكثرْنَ عليها** . قالت فقلت : **سُبحانَ الله ، أوَ لقد تحدَّثَ الناسُ** بهذا ؟ قالت : فبكيتُ تلكَ الليلةَ حتى أصبحتُ لا يَرقأُ لى دمْعٌ ولا أكتَحلُ بنوم ، ثمَّ أصبحتُ أبكى ، قالت : ودَعا رسولُ الله (ﷺ) علىَّ بن أبى طالب وأُسامة بن زيدٍ حِينَ استَلْبَثَ الوحىُ يسألهما ويَستشيرهما فى فِراق أهلِه . قالت : فأما أُسامة فأشارَ على رسول الله (ﷺ) بالذى يعلم من براءةِ أهله وبالذى يَعلَم لهم

فى نفسِه ، فقال أسامة : **أهلُكَ ، ولا نعلمُ إلا خيرًا** . وأما علىّ فقال : **يارسول الله ، لم يُضيِّقِ الله عليك ، والنساءُ سِواها كثير ، وسَلِ الجارِيةَ تصْدُقْك** . قالت : فدعا رسولُ الله (ﷺ) بَريرةَ فقال : «**أى بَريرة ، هل رأيت من شىء يَريبكِ ؟**» قالت له بريرة : **والذى بعثَك بالحق ، ما رأيتُ عليها أمرًا قطُّ أغمِصهُ ، غيرَ أنها جاريةٌ حديثة السنِّ تنامُ عن عجينِ أهلِها فتأتى الداجنُ فتأكله** .

قالت : فقامَ رسولُ الله (ﷺ) مِن يومِه فاستعذَرَ من عبدِ الله بن أُبَىّ – وهوَ على المنبر – فقال : «**يامعشر المسلمين ، مَن يَعذِرنى من رجلٍ قد بَلَغنى عنه أذاهُ فى أهلى . والله ، ما علمتُ على أهلى إلاّ خيرًا .. ولقد ذكرُوا رَجُلاً ما عَلِمْتُ عليهِ إلاّ خيرًا ، وما يَدخلُ على أهْلِى إلا مَعى**» . قالت : **فقام سعدُ بن مُعاذٍ – أخو بنى عبدِ الأشهل – فقال : أنا يارسولَ الله أعذرك ، فإن كان منَ الأوس ضَربتُ عُنقه ، وإن كان من إخوانِنا منَ الخزرَجِ أمْرتَنا ففعلنا أمرَك** . قالت : فقام رجلٌ منَ الخزرجِ – وكانت أُمُّ حسّان بنتَ عمه من فخذه وهوَ سعدُ بن عُبادةَ وهو سيِّد الخزرج . قالت : وكان قبلَ ذلكَ رجلاً صالحا ، ولكن احتمَلَته الحميَّة – فقال لسعد : **كذَبتَ لعَمْرُ الله ، لا تَقْتُلهُ ولا تقدرُ على قَتله ، ولو كان من رَهطِك ما أحببتَ أن يُقتَل** . فقام أُسَيدُ بن حُضير – وهو ابن عم سعد – فقال لسعد بن عُبادةَ : **كذبتَ لعمر الله ، لنقتلَنّه ، فإنكَ منافق تجادِل عن المنافقين** . قالت : فثارَ الحيّانِ الأوس والخزرج – حتى همُّوا أن يَقتتِلوا ورسولُ الله (ﷺ) قائمٌ على المنبر . قالت : فلم يَزَل رسولُ الله (ﷺ) يُخفِّضُهم حتى سكتوا وسكت . قالت :

فبكيت يومى ذلك كلهُ لا يَرقأُ لى دَمع ولا أكتحلُ بنوم . قالت : وأصبحَ أبوايَ عندى وقد بَكيتُ ليلتَين ويومًا لا يرقأ لى دمعٌ ولا أكتحل بنوم ، حتى أنى لأظنُّ أنَّ البُكاءَ فالقٌ كبدى . فبينا أبوايَ جالِسان عندى وأنا أبكى فاستأذنَتْ علىَّ امرأة من الأنصار ، فأذِنتُ لها ، فجلَسَت تبكى معى . قالت : فبينا نحن على ذلك دخلَ رسولُ الله (ﷺ) علينا فسَلَّم ثمَّ جلَس . قالت : ولم يَجلسْ عندى منذ قِيلَ ما قيلَ قبلها ، ولقد لبث شهرًا لا يُوحَى إليه فى شأنى بشىء . قالت : فتشهَّدَ رسولُ الله (ﷺ) حين جلسَ ثم قال : **«أما بَعدُ يا عائشة ، إنه بلغنى عَنْكِ كذا وكذا ، فإن كُنْتِ بَريئَةً فسيُبَرِّؤُكِ الله ، وإن كُنتِ ألممْتِ بذَنبٍ فاستَغْفِرى الله وتُوبى إليه ، فإن العبدَ إذا اعترَف ثُمَّ تابَ تابَ الله عليه»** . قالت : فلما قضى رسولُ الله (ﷺ) مَقالَته قَلَصَ دمعى حتى ما أُحِسُّ منه قَطرة ، فقلتُ لأبى : أجِبْ رسولَ الله (ﷺ) عنى فيما قال ، فقال أبى : **والله ما أَدْرِى ما أقولُ لرسولِ الله (ﷺ)** . فقلت لأمى : أجيبى رسولَ الله (ﷺ) فيما قال . قالت أمى : **والله ما أَدْرِى ما أقولُ لرسولِ الله (ﷺ)** . **فقلتُ – وأنا جاريةٌ حديثةُ السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا – : إنِّى والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ فى أنفُسِكم وصدَّقْتُم به ، فلَئن قلت لكم إنى بريئة – لا تُصدِّقوننى ، ولئنِ اعترفت لكم بأمر – والله يعلم أنى منه بريئة – لتُصدِّقنى ، فوالله لا أجدُ لى ولكم مثلاً إلاَّ أبا يوسفَ حين قال : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، واللهُ المُسْتَعَانُ على مَا تَصِفُونَ﴾** ثمَّ تحوَّلْتُ فاضطجعت على فراشى ، والله يعلم أنى حينئذٍ بريئة ، وأنَّ الله مُبرِّئى ببَراءَتى. ولكنْ والله ما كنت أظنُّ أنَّ الله تعالى مُنزِّلٌ فى شأنى

وحيًا يُتْلَى ، لَشأنى فى نَفْسِى كان أحقرَ من أن يتكلم الله فِىَّ بأمْرٍ ، ولكن كنت أرجو أن يَرى رسولُ الله (ﷺ) فى النوم رُؤيا يُبَرِّؤنى الله بها ، فوالله ما رام رسولُ الله (ﷺ) مجلِسَه ولا خرَج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزلَ عليه ، فأخذهُ ما كان يأخذهُ منَ البُرحاء ، حتى أنه لَيَتحَدَّر منه العرَقُ مثل الجُمان[30] - وهوَ فى يومٍ شاتٍ - من ثِقَل القولِ الذى أنزلَ عليهِ . قالت : فسُرِّىَ عن رسول الله (ﷺ) وهو يَضحكُ ، فكانت أوَّل كلمةٍ تكلمَ بها أن قال : «ياعائشة ، أمّا الله فقد بَرَّأَكِ» . قالت : فقالت لى أمى : **قومى إليه** ، فقلت : **لا والله لا أقومُ إليه ، فإنى لا أحمَدُ إلا الله عز وجل** . قالت : **وأنزلَ الله تعالى** :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ... ﴾[31]

ثم أنزل «الله» تعالى هذا فى براءتى . قال أبو بكر الصدِّيقُ - وكانَ يُنفِقُ على مِسطحِ بن أثاثةَ لقرابتِه منه وفقره - **والله لا أنفِقُ على مِسطح شيئًا أبدًا بعدَ الذى قال لعائشة ما قال** . فأنزَل الله تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[32]

قال أبو بكر الصدِّيق : **بلى والله ، إنى لأحِبُّ أن يَغفر الله لى . فرَجع إلى مسطح النفقةَ التى كان يُنْفِقُ عليه وقال** : والله ، **لا أنزعُها منه أبدا** . قالت عائشة : **وكان رسولُ الله (ﷺ) سأَلَ زينبَ بنت جَحْش عن أمرى** ، فقال لزينبَ : **«ماذا عَلِمْتِ أو رأيت ؟»**

---

(٣٠) اللؤلؤ . (٣١) النور : ١١ . (٣٢) النور : ٢٢

فقالت : **يارسولَ الله أحْمِى سمعى وبصرى ، والله ما علمتُ ألا خيرًا** . قالت عائشة : **وهىَ التى كانت تُسامِينى من أزواج النبىِّ** (ﷺ) ، **فعصَمَها الله بالوَرَع** . قالت : وطَفِقَت أختُها حمنةُ تحاربُ لها ، فهلكتْ فيمن هلك . قال ابن شهاب : **فهذا الذى بلغنى من حديث هؤلاء الرَّهْط** . ثم قال عروة «قالت عائشة : والله إنَّ الرجُل الذى قيلَ له ما قيل ليقول : سُبحان الله فوالذى نَفْسِى بيدِه ما كشفت من كَنَف أُنْثَى قطّ . قالت : **ثمَّ قُتِل بعدَ ذلك فى سبيل الله**» .

وهكذا تُبين لنا هذه القصة خطورة الوقوع فى أعراض الناس ، وخاصة النساء ، وخطورة ترديد الشائعات ، وأن من يقع فى أعراض الناس دون دليل يجب أن يُجلد ثمانين جلدة حفاظا على سمعة الناس ، وعلى أعراضهم ، وبيوتهم .



السَّيِّدَةُ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب

▫ كانت (رضى الله عنها) من المهاجرات وتُوفِّى زوجُها وهو حُذَافَةُ السَّهْمِيُّ[1] بالمَدِينة ، وكان ممن شهد (بَدْرًا) فذهب عُمَرُ يعرضها على أبى بكر الصديق ، فلم يرد عليه أبو بكر بكلمة ؛ فغضب عمر من ذلك .. وذهب يعرضها على عُثْمان بن عفان عقب وفاة السيدة رُقَيَّة ابنة رسول الله (ﷺ) فقال عثمان : **ما أُرِيدُ أن أتزوَّجَ اليوم ..** فانطلق عُمَر إلى رسول الله (ﷺ) يشكو إليه عثمان فقال النبى (ﷺ) : «**يَتزوَّجُ حَفْصَةَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ عُثْمَانَ ، ويَتَزَوَّجُ عُثْمَانُ مَنْ هِي خَيْرٌ مِنْ حَفْصَةَ**» وقد كان : فقد تزوَّج عثمان بن عفان من أم كُلْثُوم بنت رسول الله (ﷺ) وتزوَّج الرسول (ﷺ) من حَفْصَةَ بِنْت عُمَر[2] ، وكان ذلك فى السنة الثالثة من الهجرة ، وفرح عمر بذلك ، وذهب يخبر أبا بكر : فقال أبو بكر : **كُنْتُ أَعْلَمُ فقد ذَكَرَها رَسُولُ الله (ﷺ) أمامى ..** فقال عمر : **ولماذا لَمْ تُخْبِرْنِى ؟** فقال أبو بكر : **ما كُنْتُ لأُفْشِى سِرَّ رَسُولِ الله (ﷺ) ، فلو تَرَكَها لتزوَّجْتُها ..**

وفى يوم من الأيَّام دخل عمر بن الخطاب على ابنته فوجدها تبكى فقال لها : **ما يُبْكِيكِ ؟!..** فقالت : **لَقَدْ طَلَّقَنِى رَسُولُ الله** ، فأخذ عمر يحثو التراب على رأسه ويقول : **ما يَعْبأُ الله بعُمَر وابنته**

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ، حفصة : ٣٢٩٧ (٢٨١١/٤) .
(٢) عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) البخارى (٥١٢٢) .

بعدها[٣] .. فنزل جبريل (عليه السلام) إلى رسول الله (ﷺ) يقول : «**إنَّ الله يأْمُرُكَ أَنْ تُرَاجِعَ حَفْصَة بِنْتَ عُمَرَ رَحْمَةً بِأَبِيهَا**» .. وقال : «**إنَّها صَوَّامَةٌ قَوَّامةٌ وهى زَوْجَتُكَ فى الجَنَّة**»[٤] فراجَعَها رسول الله (ﷺ) ، وبقيت معه حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وقد عاشت بعده إحدى وثلاثين سنة حيث تُوفِّيَتْ فى السنة الحادية والأربعين من الهجرة .

وهى التى تآمرت معها السيدة عائشة (رضى الله عنها) على السيدة زينب بنت جحش (رضى الله عنها) فى قِصَّة العسل الذى كان يشربه رسول الله (ﷺ) عندها ، ونزل قول «الله» عز وجل يعاتبها :

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[٥]



(٣) عن عقبة بن عامر (رضى الله عنه) للكبير ، وفى جمع الفوائد (٤٤٢١) .
(٤) عن عمر (رضى الله عنه) عند ابن سعد ، شرح حديث (٥١٩١)لابن حجر فى الفتح .
(٥) التحريم : ٣ ، ٤ .

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ

□ أُمُّها أُميمة بنتُ عَبْدِ المطَّلِب عمَّةَ النبى (ﷺ) وهى شريفة قُرَشِيَّة ، وكانت من المهاجرات الأوائل إلى المدينة حيث هاجرت مع أخيها عبد الله بن جحش والذى قُتِلَ فى غزوة (أُحُدٍ) وتكنى بأمِّ الحَكَم .

وكانت تتميَّز : بالتقوى ، والدِّين ، والنَّسَبِ ، والشَّرف ، والجَمَالِ ، ومع ذلك تزوَّجت بمن هو أقل منها نَسَبًا وشَرَفًا – وهو زيد بن الحارثة – فقد كان يُعَدُّ من المَوَالِى، وهى الشريفة القرشية وكان ذلك طاعة «لله» ، ورسوله (ﷺ) ومرَّت الأيام ، وطلَّقها زوجها زُهْدًا فيها ، وانقضت عِدَّتُها،وإذا بزوجها السابق يطرق بابها ويعطى ظهره للباب مُتأدِّبا – فلم يكن الحجاب قد فرض بعد – ويقول بصوت خَفِيض : **بَعَثَنِى رسولُ الله (ﷺ) كَى أَخْطِبَكِ له ..** فردَّت عليه قائلة : **لَنْ أُحْدِثَ شيئًا حتى أُوَامِرَ رَبِّى عز وجل ..** فأَبْلَغَ الرسولَ (ﷺ) بذلك ، ودخلت السيدة زينبُ مَسْجِدَها فى بيتها تُصَلِّى وتَسْتَخِير «الله» تبارك وتعالى ، وإذا بها تُفَاجَأُ بدُخُول رسول الله (ﷺ) عليها بدون اسْتِئْذَانٍ مُبَشِّرًا إيَّاها أنها أصبحت زوجته إذ نزل جبريل يقول للنبى (ﷺ) :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ

أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[1]

فقد تمَّ هذا الزواج بغير عَقْدٍ ، وبغير شُهُودٍ ، من فوق سبع سموات ، وبزواجه (ﷺ) منها فُرِضَ الحِجَابُ على أُمَّهات المؤمنين ، وتشهد لها عائشة (رضى الله عنها) فتقول : **ما رَأيتُ امرأةً قَطُّ خيرًا فى الدِّين ، وأتْقَى لله ، وأصْدَقَ حَدِيثًا وأوْصَلَ للرَّحِم ، وأعْظَمَ أمانةً وصِدْقًا مِنْهَا**[2] ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : **«أسرعكُنَّ لُحُوقا بِى أطْوَلُكُنَّ يدًا»** .. **فَكُنَّا** نتطاول أيُّنا أطولُ يَدًا ، ثم فوجئنا بوفاتها ، فعَلِمْنَا أن طول اليد كِنَايَةً عن كثرة الصَّدَقَةِ ، **فكانت** هى أطولنا يدًا لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدَّق[3] .. وقد وصفها النبى (ﷺ) أنها : **«أوَّاهَةٌ»**[4] .. أى مُتَخَشِّعَة مُتضَرِّعَة إلى «الله» عز وجل .

وتقول عائشة : لم يكن أحد من نساء النبى (ﷺ) تساميني فى حسن المنزلة عنده إلا زينب بنت جحش ، وكانت تفخر على نساء النبى (ﷺ) وتقول : إن آباءكن أنكحوكن ، وإن الله أنكحنى إياه .. وقد ماتت (رضى الله عنها) سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها عمر بن الخطاب ، ودفنت بالبقيع .

---

(١) الأحزاب : ٣٧ ، والحديث عن أنس (رضى الله عنه) عند مسلم ، وأحمد ، والنسائى ، ذكره ابن حجر فى الفتح (٤٧٨٧) .
(٢) عن عائشة (رضى الله عنها) ، للشيخين ، والترمذى ، والنسائى ، وفى جمع الفوائد (٨٩٨١/١٦)
(٣) عن عائشة (رضى الله عنها) رواه مسلم (٢٤٥٢) .
(٤) عن عبد الله بن شداد (رضى الله عنه) الاستيعاب ٣٣٥٥ (١٨٥٢/٤) .

السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِى أُمَيَّةَ بن المُغِيرَة

☐ هى هِنْدُ بنت أبى أُمَيَّة بن المُغِيرَة المشهور (بزاد الرَّاكِبِ) وكان من أجود رجال قُرَيش المشهورين بالكَرَم ، وكانت من المهاجرات إلى الحَبَشَةِ مع زوجها أبى سَلَمَة بن عبد الأسد من بنى مَخْزُوم[1]، وعادا إلى(مكة) مع من عاد إليها بعد سريان إشاعة إسلام أهلها .. ولما تبيَّن عدم صحَّة هذه الإشاعة ، واشتدَّ إيذاء أهل (مَكَّة) للمسلمين ، ولمن عاد من الحَبَشَة على وجه الخصوص ؛ قرَّرا الهجرة إلى المدينة المنوَّرة . ولما تجهَّزا للرحيل ، وأخذا معهما ابنهما الصغير خرج عليهم نَفَرٌ من قوم الزوجة وقالوا لأبى سلمة : **هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتنا عَلَيْهَا ، أرأيت صاحِبَتَنَا هذه ؟! عَلامَ تُتْرَك تُسَيِّرُها فى البلاد ؟!..** فنزعوها منه ، فأخذت ولدها ، وإذا بأهل زوجها ينزعون منها ولدها فأصبحت : هى فى قومها ، وأصبح ابنها مع أهل زوجها .. وخرج الزوج وحيدا إلى المدينة ، وتفرَّق شمل الأسرة ، وظلت الزوجة تبكى ليلها ونهارها .. فلا هى هاجرت مع زوجها ، ولا تركوا لها ابنها ، ومضى عام كامل وهى فى هذا العذاب حتى رَقَّ لها بعض أهل زوجها فتركوا لها ابنها يرحل معها ، ورحلت إلى المدينة ، ولحقت بزوجها ، والْتَأَمَ شمل الأسرة ثانية .. وما لبث أن استشهد زوجها فى سبيل «الله» وانقضت عِدَّتُها فأرسل إليها رسول الله (ﷺ) عمر بن الخطاب يخْطِبها له فأرسلت إليه تقول : **إنّى امْرَأَةٌ غَيْرَى ، وإنى امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ**

(١) السيرة النبوية (٣٤٥/١) والاستيعاب (١٤٣٩/٤) ، والإصابة (٢٢٢/٨) .

(لها صبيان) ، **وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِى شَاهِدٌ** .. وحين بلغه ذلك أرسل إليها يقول : «**أَمَّا قَوْلُك : (إِنِّى امْرَأَةٌ غَيْرَى) فَسَأَدْعُو الله فَيُذْهِب غَيْرَتَكِ .. وأَمَّا قَولُكِ (إِنِّى امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ) فَستُكْفِينَ صِبْيَانَكِ** –أى أنه (ﷺ) سيتولَّى كفالتهم – **وأَمَّا قَوْلُكِ (لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِى شَاهِدٌ) فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدٌ ولاَ غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ**»[٢] ، وحين بلغها ذلك رضيت وتزوجها رسول الله (ﷺ) وأصبحت من أمهات المؤمنين[٣] (رضى الله عنهن) .. وبزواجه (ﷺ) منها نشأت قاعدة شرعية : **أن الرجل المتزوج إذا تزوَّج بامرأة جديدة وله زوجات أخريات فللزوجة الجديدة – إن كانت بِكْرًا – أن يبقى عندها سبعة أيام متصلة ثم يدور على نسائه كل واحدة ليلة ، وإن كانت ثيِّبا بقى عندها ثلاثة أيام ثم يدور على نسائه**[٤] .. وكانت أم سلمة من آخر نساء النبى (ﷺ) لحوقا به ، وقد ماتت فى العام التاسع والخمسين من الهجرة أى بعد انتقاله (ﷺ) للرفيق الأعلى بتسع وأربعين سنة ، وقد ماتت فى خلافة يزيد ابن معاوية ، وأوصت بأن يصلى عليها سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل أحد العشرَة المبشرين بالجنة .

وفى رواية أخرى أنها أوصت بأن يصلى عليها أبو هريرة[٥] ، وقد دُفِنَتْ فى البقيع .. وقد رَوَت عن النبى (ﷺ) أحاديث هامة منها الحوار الذى دار بين النجاشى وعبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص ، اللَّذَيْن أرسَلَهما ملأُ قُرَيش إلى الحبشة لإقناع النجاشى

(٢) النسائى ، والإصابة ، أم سلمة : ١٢٠٦١ (٨/٢٢٣) .
(٣) ابن إسحاق : السيرة (٢/١١٢) . (٤) الاستيعاب ، هند : ٤١١١ (٤/١٩٢١) .
(٥) الاستيعاب (٤/١٩٢١) والإصابة : ١٢٠٦١ (٨/٢٢٥) .

بتسليمهما المسلمين الذى هاجروا إلى الحبشة، حيث رُوِى عَنها أنها قالت (رضى الله عنها) : لَمَّا ضاقَتْ مكَّةُ وأُوذِى أصْحابُ رسُولِ الله (ﷺ) وَفُتِنُوا وَرَأوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ البلاءِ وَالْفِتنةِ فِى دِينِهِمْ ، وَأنَّ رَسُولَ الله (ﷺ) لاَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، وَكَانَ رَسُولُ الله (ﷺ) فِى مَنَعة[٦] مِنْ قَوْمِهِ وَمِنْ عَمِّهِ لاَ يَصِلُ إِلَيْهِ شَىْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ وَمِمَّا يَنَال أصْحَابَهُ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله (ﷺ): إنَّ بأرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ أحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا ببِلاَدِه حَتَّى يَجْعَلَ الله لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرجًا مِمَّا أَنْتُم فيه . فَخَرَجْنَا إلَيْهَا أرْسَالاً[٧] حَتَّى اجْتمَعْنَا بهَا ، فَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ إلى خَيْرِ جَارٍ آمنينَ على دِينِنَا وَلَمْ نَخْش فِيهَا ظُلْمًا . فَلَمَّا رَأتْ قُرَيْشٌ أنَّا قَدْ أصبْنَا دَارًا وَأمْنًا ، غَاروا[٨] مِنَّا فَاجْتَمَعُوا عَلَى أنْ يبْعَثُوا إلَى النَّجاشىِّ فِينَا لِيُخرجونَا من بِلاَدِهِ وَلَيرُدَّنَا عَلَيْهِمْ . فَبعثُوا عَمْرَوا بْنَ الْعَاص وَعَبْدَ الله بْنَ أبِى رَبيعَةَ ، فَجَمعُوا لَهُ هَدَايَا وَلِبَطَارِقَتِهِ[٩] ، فَلَمْ يَدَعُوا مِنْهُمْ رجُلا إلاَّ هَيَّأوا لَهُ هديَّةً عَلَى حِدَةٍ ، وَقَالُوا لَهُمَا : ادْفعُوا إلَى كُلِّ بِطرِيقٍ هَدِيَّته قَبْلَ أن تَتَكلَّمُوا فِيهِمْ ، ثُمَّ ادْفَعُوا إلَيْهِ هَدَايَاهُ ، فَإنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ يَرُدَّهُمْ عَلَيْكُمْ قَبْلَ أن يُكَلِّمَهُمْ[١٠] فَافْعَلُوا . فَقَدمَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْقَ بِطْرِيقٌ مِنْ بطَارِقَتِهِ إلاَّ قَدَّمُوا إلَيه هَدِيَّتَهُ[١١] ، فَكَلَّمُوهُ فَقَالُوا لَهُ : إنَّمَا قَدِمْنَا عَلَى هَذا الْمَلِكِ فِى سُفَهَائِنَا ، فَارَقُوا أقْوامَهُمْ فِى دِينِهمْ وَلَمْ يَدْخُلوا فِى

(٦) أى قوة من قومه ، تمنع من يريده بسوء .
(٧) «أرسالاً» جمع رسل : جماعة من الناس .
(٨) غاروا مشتق من الغيرة والغيرة : كراهة المشاركة فى محبوب .
(٩) جمع بطريق ، وهو الحاذق بالحرب وأمورها - بلغة الروم ، وهو ذو منصب وتقدم عندهم.
(١٠) أى قبل أن يكلم النجاشى جعفرا وأصحابه .
(١١) المراد بها : الرشوة باسم الهدية .

دِينِكُمْ . فَبَعَثَنَا قَوْمُهُمْ لِيَرُدَّهُمُ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا نَحْنُ كَلَّمْنَاهُ فَأشيروا عَلَيْه بأن يَفعلَ ، فَقَالُوا : نَفْعَل . ثُمَّ قَدَّموا إِلى النَّجاشيِّ هَدَاياه ، وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ مَا يُهْدونَ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الأَدَمُ[١٢] . فَلَمَّا أَدْخَلُوا عَليه هَدَاياهُ قَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ فِتْيَةً مِنَّا سُفَهَاءَ فارقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلوا فى دِينكَ ، وَجَاءُوا بدِينٍ مُبْتَدعٍ لا نَعْرِفُهُ ، وَقَدْ لَجَؤوا إِلَى بِلاَدِكَ ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ عَشائِرُهُمْ ، آباؤُهُمْ وأَعْمَامُهُمْ وَقَومُهُمْ لِتردَّهُمْ عَلَيهِمْ ، فَإِنَّهمْ أَعْلَى[١٣] بِهِمْ عَيْنًا ، فإنَّهُمْ لَنْ يَدْخُلُوا فى دِينكَ فَتَمْنعَهُمْ[١٤] لِذَلِكَ ، فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ : لاَ ، لَعَمْرُ اللهِ لا أَرُدُّهُمْ عَلَيْهِمْ حتَّى أدْعُوَهُمْ ، فَأُكَلِّمَهُمْ وَأَنْظُرَ مَا أَمْرُهُمْ ؛ قَوْمٌ لَجَؤوا إلى بِلادِى وَاخْتارُوا جِوَارِى عَلَى جِوَارِ غَيْرى فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولُونَ رَدَدْتُهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ ، وَلَمْ أَدْخُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَمْ أَنْعِمْ[١٥] عَيْنًا .

فَلَمَّا دَخَلوا عَلَيْهِ سَلَّمُوا وَلَمْ يَسْجُدُوا لَهُ . فَقَالَ : أَيُّهَا الرَّهْطُ[١٦] أَلاَ تُحَدِّثُونى مَالَكُمْ لاَ تُحَيُّونى[١٧] كَمَا يُحَيينى مَنْ أَتَانَا مِنْ قَوْمِكُمْ ؟ فَأَخْبِرُونِى مَاذَا تَقُولُون فِي عيسَى – عليه السلام – ؟ وَمَا دِينُكمْ ؟ أَنَصَارَى أَنْتُمْ ؟ قَالُوْا : لاَ . قَالَ : أفَيَهودُ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : لا . فَعَلَى دِين قَوْمكُمْ ؟ قالوا : لاَ . قَالَ : فَمَا دِينُكُم ؟ قَالُوا :

---

(١٢) جمع أديم وهو الجلد المدبوغ .
(١٣) أى أبصر بهم . وأعلم بحالهم .
(١٤) تحميهم وتجيرهم .
(١٥) أى لم أكرمهم بردهم إليهم ولم أقر عينهم .
(١٦) الرهط : الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة ، أو ما دون العشرة . ورهط الرجل : قومه وقبيلته الأقربون . (ج) أرهط وأرهاط .
(١٧) أى لماذا لا تسجدون لى كما يسجد لى من يأتينى من قومكم ؟

الإسلامُ . قَالَ : ومَا الإسْلاَمُ ؟ قَالُوا : نَعْبُدُ الله ، لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . قال : مَنْ جَاءَكُمْ بِهَذَا ؟ قَالُوا : جَاءَنَا بِهِ رجلٌ مِنْ أَنْفسِنَا ، قَدْ عَرَفْنَا وَجْهَهُ[١٨] وَنَسَبَهُ ، بَعَثَهُ الله إِلَيْنَا كَما بَعَثَ الرُّسُلَ إِلَى مَنْ قَبْلَنَا ، فَأَمَرَنَا بِالبرِّ ، والصدَقةِ ، وَالوَفَاءِ ، وَأَدَاءِ الأَمانة ، وَنهَانَا أن نَعْبُدَ الأَوْثَانَ ، وأَمَرَنَا بعبَادةِ الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ؛ فصَدَّقْنَاهُ وَعَرفنَا كَلاَمَ الله وعلمنا أَنَّ الذى جاء بِهِ من عِنْد الله . فَلَمَّا فَعَلنَا ذَلِكَ عَادَانَا قَوْمُنَا وَعَادُوا النَّبيَّ الصَّادِقَ وَكَذَّبوهُ وأرادوا قَتْلَهُ ، وأَرَادُونَا عَلَى عِبَادَةِ الأَوْثانِ ، فَفَرَرْنَا إِلَيْكَ بدِيننا ودِمَائِنَا مِنْ قَومِنَا . قَالَ : والله ! إن هَذَا لَمِنَ المِشْكَاةِ[١٩] الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا أمْرُ موسَى . قَالَ جَعْفَرٌ (رضى الله عنه) : وأمَّا التَّحيَّةُ ، فإنَّ رَسُولَ الله (ﷺ) أخْبَرَنَا أنَّ تحيةَ أهْلِ الجَنَّةِ : السَّلاَمُ ، وَأمَرَنَا بذَلِك ، فَحَيَّيْنَاك بالَّذِى يُحَيِّى بَعْضُنَا بَعْضا . وأمَّا عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ (عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ) : فَعَبْدُ الله وَرَسُولُه وَكَلِمَتُهُ ألقَاهَا إلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَابنُ العَذْرَاءِ الْبَتُولِ[٢٠] . فَأَخَذَ عُودًا وَقَال : والله ! مَازَادَ ابْنُ مَرْيَم (عليهما السلام) عَلَى هَذَا وَزْنَ هَذَا الْعُودِ . فَقَالَ عُظَمَاءُ الْحَبَشَةِ : والله ! لَئِنْ سَمِعَتِ الْحَبَشَةَ لَتَخْلَعَنَّك . فَقَال : والله لاَ أقُولُ فِى عِيسَى (عَليه السلام) غَيْرَ هَذَا أبدًا ، ومَا أطَاعَ اللهُ النَّاسَ فِيَّ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِى[٢١] فَأُطِيعَ النَّاسَ فِى دِينِ الله – مَعَاذَ الله مِنْ ذَلِكَ[٢١] – .

---

(١٨) أى ذاته وجاهه .

(١٩) الكوة غير النافذة وقيل : هى الحديدة التى يعلق عليها القنديل ، أراد أن القرآن و(التوارة) كلام الله تعالى ، وأنهما من شىء واحد .

(٢٠) أى المنقطعة عن الرجال ولا شهوة لها فيهم .

(٢١) كذا فى البداية (جـ ٣ / ٧٢) .

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الهِلَالِيَّةُ

□ كانت زوجة لِعَبْدِ الله بن جَحْش وهو شقيق السيدة زينب بنت جحش أم المؤمنين ، وقد قُتِلَ فى غزوة (أُحُد) ، ثم تزوَّجها الرسول (ﷺ) بعده ، وكان ذلك فى السنة الرابعة ، وقد عاشت عنده فترة لم تتجاوز الثلاثة أشهر ، ثم تُوفِّيَت فى حياته بالمدينة[(١)] .

وكانت تُلقَّبُ **بأُمِّ المَسَاكِينَ**[(٢)] حيث كانت تعطف عليهم ، وتحبُّهم .. والراجح أنها ماتت فى الثلاثين من عمرها وكانت أوَّل من دفن بالبقيع من أمهات المؤمنين ، ولعل قصر إقامتها فى بيت رسول الله (ﷺ) كان أحد أسباب انصراف كُتَّاب السِّيرة والمؤرِّخين عن تناولها ؛ فلم يصل عنها سوى بضع روايات لا تخلو من تناقض واختلاف ، ولم يجمعوا إلا على كَرَمِهَا ؛ فقد كانت تطعم المساكين وتتصدَّق عليهم .

وقد أغفلت جمهرة المصادر نَسَبَهَا لأُمِّها ، وإن كانوا لم يختلفوا فى نَسَبِهَا من أبيها ، وقد نُقِلَ عن على بن عبد العزيز الجرجانى النسابة قوله : **وكانت زينبُ بنتُ خُزَيْمَة أُخْتَ مَيْمُونَة بنت الحارث أم المؤمنين لأُمِّها**[(٣)] .

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر، زينب : ٣٣٥٩ (١٨٥٣/٤) والإصابة لابن حجر: ١١٢٣٠ (٦٧٢/٧).
(٢) المصدران السابقان . (٣) الاستيعاب (١٨٥٣/٤) .

السَّيِّدَةُ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِى ضِرَارٍ

☐ هى ابنَةُ الحارِثِ بنِ أَبِى ضِرَارٍ قائد جيش بنى المصطلق ، ولما هزم جيشهم فى غزوة (المريسيع) ، وأسرت النساء ، وقع سهم السيدة جويرية عند تقسيم الغنائم فى سهم ثَابِتِ بن قَيْسِ بن الشَّمَّاسِ ، وقد كبر عليها أن تقع أسيرة فى أيدى المسلمين وتصبح سَبْيًا يختارها من يشاء من الرجال وهى الحلوة المُلاحَة بنت سيد قومها ؛ فكاتبت من وقعت من نصيبه عن نفسها حتى تصبح حُرَّة بعد أن تؤدِّى المال الذى تم الاتِّفاق عليه ، ودخلت على رسول الله (ﷺ) وقالت : **أنا بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِهِ ، وقَدْ أَصَابَنِى مِنَ البلاءِ ما لم يَخْفَ عَلَيْكَ ، وقد كاتَبْتُ على نَفْسِى ؛ فأعِنِّى على كِتَابَتِى** .. وتقول السيدة عائشة : **فنظر إليها رسول الله** (ﷺ) ثم قال : «**أَوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟!..**» قالت : **ومَا هُوَ ؟** .. قال : «**أُؤَدِّى عَنْكِ كِتَابَتَكِ وأَتزوَّجُكِ**» .. فقالت : **نَعَمْ** ، وفرحت بذلك فتزوَّجها رسول الله (ﷺ) وضرب عليها الحِجَابَ فخرج الخَبَرُ إلى الناس ، فقالوا : **أَصْهَارُ رَسولِ الله (ﷺ) فى أيدِينا !!** .. فأطلقوا ما بأيديهم من الأَسْرَى دون فدَاءٍ .. فكانت أعظم النساء خيرًا وبَرَكَةً على قومها[1] ، وجاء أبوها يسعى لِفداء ابْنَتِه ، ولم يكن يعلم بما حدث

---

(١) عن عائشة (رضى الله عنها) الاستيعاب لابن عبد البر ، جويرية : ٣٢٨٢ (١٨٠٤/٤ ، ١٨٠٥) والإصابة : ١١٠٠٢ (٥٦٥/٧) .

فقد فَرَّ من المعركة حين رأى رياح الهزيمة تهُبُّ على قومه ، جاء يسوق إبلاً قد أخفى منها اثنين فى مكان ما ، ودخل على رسول الله (ﷺ) يَعْرِضُ عليه الإبِلَ فِدَاءَ ابْنَتِه ، فقال له : «**وأَيْنَ البَعِيرَان اللَّذَانِ خَبَّأْتَهُمَا فى مَكَان كذا وكذا ؟!**» .. فقال الرجل : **أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، فوالله ما اطَّلع على ذلك أحد إلا** «**الله**» ، فأسلم وأسلم معه قومه الذين أصبحوا أصهارًا لرسول الله (ﷺ) .

وروى كثير من الصحابة أحاديث كثيرة عن السيدة جُوَيْرِية ، منها قولها : دَخَلَ عَلَيَّ رسولُ الله (ﷺ) فى الصباح وأنا فى مسجدى ثم انصرف ثم جاء فى وسط النهار فدخل عَلَيَّ فوجدنى فى مسجدى فقال : «**مَازِلْتِ عَلَى حَالِكِ ؟!**».. قلت : نعم يارسول الله .. قال : «**ألا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقْرَئِينَهَا ؟!**».. قلت : **بلى** ، قال : **قُولِى : سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِه .. سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ .. سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ .. سُبْحَانَ الله مِدادَ كَلِمَاتِهِ ، سُبْحَان الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ** ... وفى رواية أخرى أنه قال : **سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، ومِدَادَ كَلِمَاتِهِ**[٢] .



(٢) عن ابن عباس ، وجويرية (رضى الله عنهم) رواه الترمذى ، فى الإصابة (٥٦٦/٧) .

السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَىّ بْن أَخْطَب

☐ كانت من نساء اليهود (بِخَيْبَر) ، وكانت بنت زعيمهم ، وزوجة لكنانة بن أبى الحُقَيْق أحد شعرائهم .. واستيقظت يوما من نومها فَرِحَةً مسرُورَة ؛ فقد رأت فى منامها أن قَمَرًا قد وَقَع فِى حَجْرِها ، فذهبت لأبيها تَقُصُّ عليه الخَبَرَ ، فضرب وجهها ضربةً أثَّرت فيه وقال : **إِنَّكِ لَتَمُدِّينَ عُنُقَكِ إلى أن تَكُونى عند مَلِكِ الْعَرَب** .. يقصد بذلك النبى (ﷺ) .

ودارت الأَيَّام وغزا رسول الله (ﷺ) (خَيْبَر) وهزمهم ، وقُتِل أبوها وزوجها فى المعركة ، ووقعت هى أسيرة فى أيدى المسلمين .. فقال بعضهم للنبى (ﷺ) : **يارسولَ الله إنها سيدة قُرِيظة والنضير ما تصلح إلا لك** .. فاصطفاها لنَفْسه وأعتقها وجعل عِتْقَها صَدَاقَهَا وتزوَّجها لِتُصْبِحَ من أُمَّهات المؤمنين[1] ، وتتحقَّق رُؤْياها التى رأتها قبل أن تُسْلِمَ .. وفى يوم من الأَيَّام دخل عليها النبى (ﷺ) فوجدها حزينة ، فسألها ، فقالت : بعض نسائِكَ يَقُلْنَ : **نحن أَكْرَمُ على رسول الله (ﷺ) مِنْكِ : نحن أزواجُهُ وبناتُ عَمِّه** .. فقال : «**أَلاَ قُلْتِ: وكيف تكونانِ خيرًا مِنِّى وزوجى مُحَمَّدٌ وأبِى هَارُونُ وعمِّى مُوسَى**»[2].. ولما اعتكف رسول الله (ﷺ) مرَّة فى مسجده ذهبت إليه فى مُعْتَكَفِهِ ، وجلست تتحدَّثُ إليه ، وكانت قد وصلت

---

(١) عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) البخارى (٥٠٨٦) .
(٢) عن صفية (رضى الله عنها) الترمذى ، وفى جمع الفوائد (٨٩٨٤/١٩) بنحوه .

متأخِّرة عن بقية نسائه حوالى ساعة ، فلما حان موعد الانصراف استبقاها رسول الله (ﷺ) ساعة معه حتى يعدل بينها وبين نسائه فى الوقت الذى قضاه معهن .. وحين جاء موعد انصرافها قام معها يبلغُها بيتها ، فَلَقِيَه رَجُلاَنِ من الأنصار ، فلمَّا رَأَيَاهُ رجعا ، فقال : **«تَعَالَيَا ، فإنَّهَا صَفِيَّةُ»** ، فقالا : نعوذُ بالله ، سُبْحَانَ الله يارسولَ الله !! .. فقال : **«إنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِى مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، وخَشِيتُ أَنْ يُوقِعَ فِي نَفْسَيْكُمَا شَيْئًا»**[٣] فأصبح هذا من سُنَّةِ رسول الله (ﷺ) : **أَنَّ على المسلمِ أن يُبَرِّئ نَفْسَه إذا خَشِيَ أَنْ يَحِيك فى صَدْرِ أخيه المُسْلِمِ تُهْمَةٌ أو ريبَةٌ ، وعَلَيْهِ أَنْ يسوق دليل براءته دُونَ أن يُطْلَبَ مِنْهُ، ولا يصِحُّ أن يَضَعَ نَفْسَهُ مَوْضِعَ الشُّبُهَاتِ ، أو يُوقِعَ أخاه المُسْلِمَ فِي المَعْصِيَةِ بأَنْ يَدَعَهُ يَغْتَابُهُ .**

وقد تزوَّجها النبى (ﷺ) فى الطريق فى قُبَّةٍ خاصَّة ضُرِبَتْ لها ، ولما أصبح الصبح خرج النبى (ﷺ) ففُوجِئَ بأبى أيُّوب الأنصارى يقف أمام القُبَّة فسأله : **«ما بِكَ ياأبا أيُّوب ؟!»** فأجاب : لقد خِفْتُ عَلَيْكَ هَذِه المرأة ؛ فإنَّها حديثة عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، وقد قُتِلَ أبوها وأهْلُها ؛ فوَقَفْتُ أحرسك يارسول الله ، فدعا له النبى (ﷺ) قائلا : **«اللَّهُمَّ احْرس أبا أيُّوبَ كما باتَ يحرسُنِى»**[٤] ، ثم عاد الرسول (ﷺ) بها إلى المدينة ، وأصبح لها حجرة من الحُجُرات ، وقد تُوفِّيت (رضى الله عنها) سنة ست وثلاثين من الهجرة على أرجح الأقوال ، ودُفِنَت بالبقيع .

---

(٣) عن على بن الحسين (رضى الله عنهما) رواه البخارى (٢٠٣٥) .
(٤) السيرة (٣/٢٥٤) وطبقات ابن سعد (٢/٨٤) .

السَّيِّدَةُ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِى سُفْيَانَ صَخْرِ بنْ حَرْب

□ كانت (رضى الله عنها) من المسلمات الأوليات ، فقد أسلمت بمكة فى بدء الدعوة ، رغم أنَّ أباها أبا سفيان لم يَكُنْ مُسْلِمًا ، وكانت أمها عمَّة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) أما زوجُها فهو عُبيد الله بن جحش أخو زَيْنَبَ بِنْت جَحْشٍ أُمِّ المؤمنين ، وابن عمة رسول الله (ﷺ) .. وقد هاجرت مع زوجها إلى الحَبَشَةِ ، وأنجبت هناك ابنتها حبيبة التى كُنيَت بها ، وفوجئت بدخول زوجها فى دين النصرانية ، ولم تكن تتصوَّر أن يَتَنَصَّر زوجها بعد ما فازا بالأمن والأمان فى حِمَايَةِ النَّجَاشِيِّ مَلِك الحَبَشَةِ ؛ وقد كانا يُعَانِيَانِ من تعذيب قُرَيْشٍ ما كان يُعَانِيهِ المُسْلِمُونَ الأوائل فى مكَّة ، ومع ذلك صَمَدَا لكل أنواع التعذيب ، وصَبَرَا على العَنَتِ خاصة وهى بنتُ سَيِّدٍ من أسياد مكَّة ، وزعيمٍ من رجالات قُرَيْش – كان ولا شك يُعَيَّر بإسلام ابنته – ولقد حاولت مع زوجها كى يبقى على إسلامه ولكن أَجَلَه حال دون وصولها لما تريد ، وبقيت هى على إسلامها بالحَبَشَةِ تجترُّ أحزَانَها على رَفِيق حياتها وهجرتها وكفاحها من أجل عقيدتها ، ذلك الذى مات غريبا عن وطنه ودينِه ، ومضت بها الأيام بطيئة كئيبة حتى فُوجِئَت بجارية من قِبَل النَّجَاشِيِّ تقرع بابها مُبَشِّرَة إيَّاها بسعادة الدنيا والآخرة ؛ فقد أرسل الرسول (ﷺ) إلى النجاشِيِّ طالبا منه أن يزوِّجه إيَّاها ، ولم تجد ما تعبِّر به عن قبولها ، ورضاها ، وفرحتها سوى أن تخلع ما كانت تتحلَّى به من أساور وخواتيم وتهديها للجارية قائلة لها : **بشَّرَكِ الله بالْخير** .. ووكَّلت خالد بن سعيد بن

العاص (رضى الله عنه) فى تزويجها .. ودعا النجاشى المهاجرين إلى قصره ، وخطب فيهم قائلا : **إن رسول الله (ﷺ) كَتَبَ إِلَىَّ أن أُزوِّجه أُمَّ حبيبةَ بنت أبى سفيان ، فأجبتُ إلى ما دَعَا إليه رسولُ الله (ﷺ) وقد أصْدَقْتُها**[1] **أربعمائة دِينَارٍ** .. ثم سَكَبَ الدنانير بين يدى القوم ، فقام خالد بن سعيد فحمد «الله» وأثنى عليه ثم قال : **أما بعد فقد أجَبْتُ رسولَ الله (ﷺ) إلى ما دَعَا إليه وزوَّجْتُه أمَّ حَبِيبَة بنتَ أبى سُفيان ، وبارَكَ الله لِرَسُولِهِ** ، ودفع النجاشى الدنانير إلى خالد فقبضها ، ثم أراد المهاجرون أن ينصرفوا ، فقال لهم النجاشى : **اجْلِسُوا ، فإن من سُنَّةِ الأنبياءِ إذا تزوَّجوا أن يؤكل طَعَامٌ على التزويج** .. ودعا بطعام فأكلوا ثم تفرَّقوا .

وقد هاجرت (رضى الله عنها) بعد الزواج إلى رسول الله (ﷺ) بالمدينة ، وأصبحت من أمهات المؤمنين .

ولما نَقَضَت قريش عهدها الذى عاهدت عليه رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية بحَرْبها مع خزاعة حلفاء النبى (ﷺ) جاء أبو سفيان إلى المدينة ليجدِّد العهد مع رسول الله (ﷺ)،ونزل على ابنته أم حبيبة (رضى الله عنها) فأحسنت استقباله وأكرمت وفادته ، وحين أراد أن يجلس على فراش رسول الله (ﷺ) نزعته أم حبيبة قبل أن يجلس عليه . فسَأَلَها : **يا بُنَيَّتِى ، أَرَغِبْتِ بِى عَنِ الفِرَاشِ ، أَمْ رَغِبْتِ بالْفِرَاشِ عَنِّى ؟!.. قالت : بَلْ رَغِبْتُ بالفِرَاشِ عَنْكَ ؛ فإنَّكَ امْرُؤٌ مُشْرِكٌ ، وهذا فِرَاشُ رسولِ الله (ﷺ)** .

وهذا التصرُّف من أم المؤمنين (رضى الله عنها) يدُلُّ على مدى الحُبِّ

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : ٣٣٤٤ (١٨٤٣/٤ : ١٨٤٥) والإصابة : ١١١٨٥ (٦٥٢/٧) .

والولاء لرسول الله (ﷺ) وتنفيذًا لِوَصِيَّته للزوجات بألا يُجْلِسْنَ على فراش أزواجِهِنَّ أحدًا إلا بإذْنِ أزواجِهِنَّ .. كما وأن المرأة بزواجها يصبح ولاؤها لزوجها أوَّلاً ، وطاعته مُقَدَّمة على طاعة الأب والأم ، ورضاه من رضا الرَّبِّ تبارك وتعالى .. وهذا لا يمنع من حُسْن التعامل والأدب مع ذوى الأرحام ، والأضياف .. فهى (رضى الله عنها) أحسَنَت استقبال أبيها ، وأكرمت وِفادَته ، لكن ذلك شيء ، وجلوسه وهو مشرك على فراش سيد الخلق (ﷺ) شيء آخر .. ولقد كانت صادقة كل الصدق حين علَّلت تصرُّفها هذا لأبيها عندما سألها عنه ؛ لعل ذلك يكون سَبَبًا فى إشعاره بما هو عليه من ضلال وخطأ ، وطَمَعًا فى هدايته للإسلام .

وقد روت أحاديث كثيرة عن رسول الله (ﷺ) منها قوله : **«مَنْ حَافَظَ عَلَى أرْبَعِ ركَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وأرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ»**(٢) .

وقد روت السيدة عائشة (رضى الله عنها) أن أم حبيبة ، وأم سلمة (رضى الله عنهما) ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبى (ﷺ) فقال :

«إنَّ أُولَئِكَ إذَا كَانَ فِيهِم الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوا عَلَى قَبْرِه مَسْجِدًا ، وصَوَّرُوا فيه تِلْكَ الصُّوَرَ ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣) .

وماتت (رضى الله عنها) سنة أربع وأربعين من الهجرة ، ودُفِنت بالبقيع إلى جوار زوجات النبى (ﷺ) .

---

(٢) رواه الترمذى (٤٢٠٧) ، وأبو داود (١٢٦٩) .

(٣) عن عائشة (رضى الله عنها) ، رواه البخارى (١٣٤١) .

السَّيِّدَةُ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْن حَزَن الْهِلَالِيَّةُ

☐ كان اسمها (برة) وسماها رسول الله (ﷺ) : ميمونة بعد زواجه منها ، وكانت أُمُّها أعظم نساء العرب نَسَبًا وأصْهَارا : فقد تزوَّج العباس بن عبد المطلب من ابنتها لُبَابَة الكبرى ، وأنجب منها عبد الله ابن عباس وإخوته ، وتزوَّج جعفر بن أبى طالب من ابنتها أسماء .. التى تزوَّجها بعد استشهاده أبو بكر الصديق ، ثم على بن أبى طالب ، وتزوَّج حمزة بن عبد المطلب من ابنتها سُلمى ، وتزوَّج الوَلِيدُ بن المغيرة من ابنتها لُبَابَة الصغرى فأنجب منها خالد بن الوليد .. وكانت ميمونة (رضى الله عنها) متزوِّجة بمكَّة ومات عنها زوجها ، وحين ذهب رسول الله (ﷺ) إلى مكَّة سنة سبع من الهجرة **لِعُمْرة القَضَاءِ** ، والتى تُسمَّى أيضا : **عُمْرَة القَضِيَّة** أى : قضية صُلْح الحُدَيْبِيَة والتى اتَّفق عليها مع مشركى مكَّة فى صُلْحِ الحُدَيْبِيَة – وكان من شروطها أن يمكث بمكَّة ثلاث ليال فقط لأداء العُمْرَة هو وأصحابه ثم يخرجوا منها – أخبره العباس بن عبد المطلب أن ميمونة تأيَّمت (مات عنها زوجها) ، فأرسل إليها جعفر بن أبى طالب ليخطِبها له ، فصادفها جعفر وهى على بعير لها فقال : **أرسَلَنِى رسول الله** (ﷺ) **أذْكُرُه عَلَيْك** .. فقالت (رضى الله عنها) : **البعيرُ وما عليهِ لرسولِ الله** (ﷺ) .. فتزوَّجها (ﷺ) بمكَّة ، وأراد أن يمكث بمكَّة بعد انقضاء الأيام الثلاثة ؛ فقال لأهل مكَّة : «**دَعُونِى أَبْتَنِى بِأَهْلِى** (كناية عن الدخول) **وأَصْنَعُ لَكُمْ طَعَامًا**» ، فقالوا : لا حاجَةَ لنا بطَعَامِكَ ، اخْرُجْ عنا ؛ فاليوم آخر شَرْطِك ، فخرج (ﷺ) بها حتى

وصل إلى مكان يسمى : (**شَرَف**) قريبا من مكَّة ، فنزل وصنع طعاما لأصحابه ، ودخل عليها فى قُبَّة لها ، ومضت الأيَّام ، وانتقل رسول الله (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى ، وعاشت (رضى الله عنها) بعده حتى سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وفى طريقها إلى مكَّة للحج طلبت أن تنزل فى : (**شَرَف**) فى نفس المكان الذى دخل عليها فيه رسول الله (ﷺ) ، فضُرِبَت لها قُبَّة فى نفس الموضع الذى نزلت فيه منذ ستَّة وأربعين عاما .. ترى أكانت رَغْبَتُها تلك لاستعادة ذكرياتها مع أحبِّ الخلق إليها الذى كانت تتُوق إلى الزواج منه حتى أنها قالت لعلى بن أبى طالب حين خطبها له : البعير وما عليه لرسول الله (ﷺ) ؟!.. أم شعرت بحلول أَجَلِها فأرادت أن تنتهى حياتها حيث بدأت ؟!.. فما كان لحياتها قبل زواجها من رسول الله (ﷺ) - فى نظرها - طعم ولا معنى ، فلم تلبث (رضى الله عنها) إلا قليلا حتى سلمت الرُّوح إلى بارئها[1] ، ولحقت برسول الله (ﷺ) .

وقد رُوِىَ أنها (رضى الله عنها) هى التى وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبى (ﷺ) ، فأنزل «الله» تعالى قوله : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا .. ﴾[2] .

وهى التى رَوَتْ حديث الرسول (ﷺ) عندما سُئِلَ عن الْجُبْنِ فقال : «**اقْطَعْ بِالسِّكِّينِ ، وسَمِّ الله تَعَالَى ، وكُلْ**»[3] .

---

(١) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) رواه البخارى (٤٢٥٨) ، والاستيعاب : ٤٠٩٩ (١٩١٧/٤) .
(٢) الأحزاب : ٥٠. والحديث فى تفسير ابن كثير (٤٣٥/٦) ، وسيرة ابن هشام (٦٤٦/٢) .
(٣) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) فى «المُسْنَد» للإمام أحمد (٢٣٤/١) .

السَّيِّدَةُ مَارِيـةُ

□ لما استقرَّ أمر المسلمين بالمدينة المنوَّرة أرسل رسول الله (ﷺ) كُتُبًا إلى كل من (كسرى) ملك الفُرس ، و(هِرَقل) ملك الروم ، و(المقوقس) عظيم القبط بمصر يدعوهم إلى الإسلام ، وعبادة (الله) الواحد الأحد

فأرسل المُقَوْقَسُ - وكان مقره بالإسكندرية - إلى النَّبِىِّ (ﷺ) هديَّة عبارة عن جارية هى : مَارِية القبطية ، وأخت لها تسمى (سِيرِين) وهى لفظ مُعَرَّب أصله الفارسى : شيرين أى الحُلوة الجَمِيلَة ، كما بعث معهما عبدا يُدعى : مأبورًا ، وبغلة شهباء سماها النبى (ﷺ) : دُلْدُلا ، وحُلَّة حَرِير ، فأهدى النبى (ﷺ) سيرين التى أسلمت لحسَّان بن ثابت الذى سُرَّ بها وأنجب منها ولدا ، وأما مارية القبطية فقد أسلمت هى الأخرى ، واتَّخذها الرسول (ﷺ) لِنَفْسِهِ فأصبحت مولاة للرسول وسُرِّية له[1] ، والسُّرِّية تختلف عن الأَمَة أو الجارية التى تكون للخِدْمَة العادية ، ولا يكون لها بيت، أما السُّرِّية فيُتَّخذ لها بيت ، ويكون من حق سيِّدها أن يطأها فإن أنجبت منه حَرُمَ بيعها ، وقد أنجب منها النبى (ﷺ) ولده إبْرَاهِيمَ الذى مات ودُفِنَ بالبقيع ، وخسفت الشمس يوم أن مات ، واعتقد الناس أن ذلك كان لموت إبراهيم فخرج عليهم (ﷺ) قائلا :

(١) الاستيعاب : ٤٠٩١ (١٩١٢/٤) والإصابة : ١١٧٢٧ (١١١/٨) .

«**إِنَّ الشَّمْسَ والْقَمَرَ آيتَانِ مِنْ آيَاتِ الله ، لا يَنْخَسِفَانِ ، وَلاَ يَنْكَسِفَانِ لِموتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا ، وادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ عَنْكُم**»[٢] وصلى بهم صلاة الخسوف .

وقد أشاع المنافقون بالمدينة إشاعة مفادها أن (مأبورا) العبد الذى جاء مع السيدة مارية من الإسكندرية يدخل عليها حجرتها . واتَّهمُوها (رضى الله عنها) به .. فاستدعى النبى (ﷺ) على بن أبى طالب ليتحرَّى الخبر فقال على : **يارسولَ الله ، أَكُونُ كالسِّكَّةِ المُحْمَاةِ** (حديدة المحراث إذا أُحْمِيَتْ فى النار .. كناية عن سرعة القَتْل) ، **أو الشاهد الَّذى يَرَى مَا لاَ يَرَى الغائِبُ** ؟.. فقال (ﷺ) : «**بل الشَاهدُ يرى ما لا يرى الغَائِبُ**» ..فذهب علىٌّ إلى (مأبور) فوجده مَجْبُوبًا (مقطوع الذَّكَر) ، فعاد إلى النبى (ﷺ) وقال له : **إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ**[٣] .. وهكذا يكيد أعـداء الإسلام للمسلمين ، و«الله» غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وقد ماتت السيدة مارية القِبْطِيَّة فى خلافة عمر بن الخطاب ف السنة السادسة عشرة من الهجرة فجمع الناس وصلى عليها .. ودفنت بالبقيع .



(٢) عن أبى مسعود (رضى الله عنه) بنحوه ذكره البخارى (١٠٥٧) .
(٣) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (٨٣/١)

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)

□ هى كُبْرى بنات الرسول (ﷺ) من السيدة خديجة (رضى الله عنها وأرضاها) .. وقد أنجبتها والنبى (ﷺ) فى الثلاثين من عمره ، وحين كَبِرت زينب زوَّجها النبى (ﷺ) من أبى العاص بن الربيع ابن السيدة هالة بنت خويلد أخت السيدة خديجة وكان ذلك قبل البعثة .. وحين بُعِثَ النبى (ﷺ) وجهر بدعوته أراد كفار مكة النكاية به ، فذهب ملأ من قريش لأبى العاص بن الربيع يطلبون منه طلاق زينب بنت محمد عَلَى أن يُزَوِّجوه بمن شاء من بنات قريش ، فَأَبَى ، وقال لهم : **والله ما أطَلِّقها ، وما أفارِقُها أبدًا مهما عرضتم علَّى من بنات العَرَبِ**[1] . فقد كان شديد الحب لها كما كانت شديدة الحب له ، ولقد أسلمت (رضى الله عنها) فى بدء الإسلام ولكن زوجها بقى على شِرْكِه ..

ودارت الأيام وجاءت غزوة (بَدْر) ووقع أبو العاص بن الربيع أسيرًا فى أيدى المسلمين ، وحين تقرَّر فِدَاء الأسْرَى أرسل أهل مكة بالأموال لِفِدَائهم ، وأرسلت الزوجة المسلمة الوَفِيَّة ما قدرت عليه لفداء زوجها المُشْرِك ، وكان من بين ما أرسلته قِلاَدَة كانت أمها أهدتها لها بمناسبة زواجها ، وحين وُضِعَت تلك الأموال أمام النبى (ﷺ) رأى تلك القلادة فحرَّكت أشجانه وَهَيَّجَتْ ذكراه ، ورقَّ لها رِقَّةً شديدة فهى قلادة السيدة خديجة (رضى الله عنها) ، ورأى

(١) عن عائشة (رضى الله عنها) للكبير ، والأوسط ، والبزار ، وفى جمع الفوائد (١/٨٩٩٥) .

الأصحاب ذلك فى وجهه (ﷺ) فقرَّروا إطلاق الأسير بغير فِدَاء .. وأعادوا له الأموال التى أرسلتها زوجته ومن بينها تلك القلادة ؛ وانطلق الزوج المُشْرك عائدا إلى مكة بعد أن وعد بالسماح لزوجته المسلمة بالهجرة إلى المدينة فور وصوله إلى مكة ، ونفَّذ الزوج وعده وخرجت الزوجة المسلمة مهاجرة إلى المدينة وكانت حاملا ، فروَّعها أحد المشركين من أهل مكَّة برُمْحه فأسقطت جنينها ، ثم واصلت سيرها إلى المدينة ولحقت برسول الله (ﷺ) .

ومضت الأيام وخرج الزوج إلى الشام فى تجارة لقُرَيش ، ووقعت القافلة فى أيدى المسلمين ، وفرَّ الزوج هاربا .. وحين أرخى الليل سُدُوله تسلَّل إلى المدينة ، ولجأ إلى بيت زوجته مستجيرًا بها ، فآوته حتى أصبح الصباح ، وخرج المسلمون لصلاة الفجر بالمَسْجد ، وتقدَّم النبى (ﷺ) إلى المحراب وكبَّر للصلاة ، فصرخت السيدة زينب (رضى الله عنها) من صفوف النساء قائلة : **يٰأَيُّهَا النَّاسُ ، إنِّى قَدْ أَجَرْتُ أبا العَاصِ بن الربيع** .. وبعد أن انتهى النبى (ﷺ) من صلاته التفت إلى الناس قائلا : **أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلْ سمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ ؟! فَوَالَّذِى نفسِى بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِهَذَا الأَمْرِ إلاَّ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ كَما سَمِعْتُمْ ، إنَّهُ يُجِيرُ عَلَى المُسْلِمِينَ أدْنَاهُمْ»** . وذَهَبَ إلى ابنته زينب وقال لها : **«يَابُنَيَّتِى ، أَكْرِمِى مَثْوَاهُ وَلاَ يَقْرُبَنَّكِ فإنَّكِ لا تَحِلِّينَ لَهُ»**.. فقالت : إنَّمَا جَاءَ يَطْلُبُ مَالَهُ .. وعرض النبى (ﷺ) الأمر على أفراد السرية التى استولت على القافلة فقرَّرُوا رد الأموال إليه ، وعاد الزوج بأموال قريش إلى مكَّة ، وردَّها إلى أصحابها ثم نادى فيهم : **هَلْ بَقِىَ لأَحَدٍ مِنكُمْ شَىءٌ** : قالوا : **لا**

جزاك الله خيرًا .. فقال : **والله لَولاَ أنْ تظنُّوا بِى الخِيانَةَ لَمَكَثْتُ بِالْمَدِينة وأسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ الله (ﷺ)** .. ثم انطلق مسرعا إلى المدينة ، ودخل على رسول الله (ﷺ) جاهرًا بالشهادتين معلنا إسلامه ، وبيعته ، وانضم إلى زوجته الوفية الصابرة والتأم شَمْلُ الأسرة من جديد فى ظل سماحة الإسلام[2] . وقد تُوفِّيَتْ السيدة زينب (رضى الله عنها وأرضاها) ورسول الله مازال على قيد الحياة . وكان ذلك فى السنة الثامنة من الهجرة ، ونزل النبى (ﷺ) فى قَبْرِها مهمُومًا حَزِينًا ولكن سُرِّى عنه حين خرج فقال : **«كُنْتُ ذَكَرْتُ زَيْنَبَ وَضَعْفَهَا فَسَأَلْتُ الله تبارك وتعالى أن يُخفِّفَ عَنهَا ضِيقَ القَبْرِ وغمّه فَفَعل وهوَّنَ عَلَيْهَا»**[3] .. وبقيت ابنتها أَمَامَةُ فى رعاية رسول الله (ﷺ) وكانت من أحبِّ أهله إليه ، وقد حملها فى صلاته بالناس يوما وكان إذا ركع أو سجد وضعها ، فإذا قام حَمَلهَا .

وقد أوصت السيدة فاطمة (رضى الله عنها) زوجها على بن أبى طالب قبل موتها أن يتزوج أُمَامَةَ،فتزوَّجها وحين أصيب على بن أبى طالب أوصى أن يتزوَّجها بعد موته المغِيرَةُ بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ففعل .

وقد ماتت (رضى الله عنها) ولم تترك ذُرِّيَّة .



---

(٢) الاستيعاب : ٣٠٦١ (١٧٠٢/٤) والإصابة : ١١٢١٧ (٦٦٥/٧) .

(٣) أسد الغابة لابن الأثير .

السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)

□ كان العرب يُزوِّجون بناتهم فى سن صغيرة ؛ وكان اهتمامهم بتكافؤ النَّسَب كبيرا ... كما كان اعتزازهم بقبائلهم سَبَبًا فى اقتصار الزواج على أبناء وبنات القبيلة الواحدة .. ولقد زوَّج رسول الله (ﷺ) قبل البعثة ابنته رُقَيَّة من عُتْبَةَ بن أبى لَهب ، وزوَّج أختها أم كلثوم من شقيقه عُتَيْبَةَ بن أبى لهب ، وتأجَّل دخول الزوجين على زوجتيهما حتى يَكْبِرا ويُصْبِحَا أهلا لذلك .. وحين بُعِثَ النبى (ﷺ) ، ودعا قومه للإسلام كان أشدهم معارضة له ، وتعذيبا لمن أسلم أبو لهب ، وامرأته أم جميل بنت حرب ... وحين نزل قول «الله» عز وجل :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1]

استدعى أبو لهب ابنيه عتبة وعتيبة ، وأمرهما بطلاق ابنتى رسول الله (ﷺ) فكان ذلك إكراما من «الله» تعالى لهما ، وهوانا لابْنَى أبى لهب .

فتزوَّجت السيدة رقية من عثمان بن عفان[2] ثم هاجر بها إلى (الحبشة) فى الهجرة الأولى ، فقال عنه النبى (ﷺ) : «**إنَّ عُثْمَانَ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ بأَهْلِهِ بَعْدَ لُوط عليه السلام**»[3] .. ثم هاجر عثمان

(١) المسد : ١ .
(٢) عن قتادة بن دعامة (رضى الله عنه) للكبير ، وفى جمع الفوائد (٢/٩٩٩٦) .
(٣) عن أسماء بنت أبى بكر (رضى الله عنهما) الإصابة : ١١١٨١ (٧/٦٤٩) .

ابن عفان بزوجته رُقيَّة وابنه عبد الله – الذى رُزِقَا به فى (الحبشة) – إلى (المدينة) .. وقد عاش عبد الله حتى بلغ عمره ست سنوات ، ثم نَقَرَه دِيك فى عينه مما تسبَّب فى وفاته ، وحزن النبى (ﷺ) عليه حزنا شديدًا ، وانقطع النَّسَب من رُقَيَّة ، وفى السنة الثانية من الهجرة مرضت السيدة رُقَيَّة بالحَصْبَة فأمر النبى (ﷺ) عثمان بأن يتخلَّف عن غزوة (بَدْر) ليُمَرِّضَها[4] ، وحين عاد زيد بن ثابت مُبَشِّرًا بالنصر المبين فى غزوة (بَدْر) كانت السيدة رقية (رضى الله عنها) تُدْفَن بالبقيع .

أىُّ مُصاب هذا ؟!.. وأىُّ بلاء ؟!.. إنه بلاء لا يَقْوى عليه إلا الأنبياء .. أن يرى الإنسان أبناءه يموتون قَبْله واحدًا تلو الآخر فى طفولتهم ، أو فى أوجِ شبابهم : فقد مات أبناؤه الذكور من السيدة خديجة (رضى الله عنها) بمكة قبل البعثة ، وهاهن البنات يلْحَقْن بإخوانهن ، ويشاء «الله» أن يكون موت السيدة رُقَيَّة فى يوم النصر المبين ، يومٌ دخل السرور فيه جميعَ بيوت المدينة إلا بيت رسول الله (ﷺ) .. والأدهى من ذلك أن يموت ابنها قَبْلَها فلا تترك ذُرِّيَّة تُسَرِّى الأب الحزين عن فقد ابنته الشابة .. سبحان الله !! كم تحمَّلْتَ ياسيدى يارسول الله من أنواع البلاء ؟!.. صَدَقْت ياسيدى حيث قلت : «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ .. ثم الأَوْلِيَاءُ .. ثم الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**[5] ... **يُبْتَلَى المَرْءُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ .. فإِنْ كَانَ فِيهِ رِقَّةٌ هُوِّنَ عَلَيْهِ**»[6] .

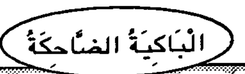
---

(٤) الاستيعاب : ٣٣٤٣ (١٨٤٢/٤) الإصابة (٦٥٠/٧) . (٥) مُختصرًا فى البخارى ، الجهاد والسير ب : ١٠٢ ، ومسلم (٧٤) . (٦) الزيادة من رواية الترمذى (٢٣٩٨) ، والنسائى ، وابن ماجة .

السَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)

□ دَخَلَ النبى يومًا على سيدنا عُثْمَانَ بنِ عَفَّان فقال له : **«ياعُثْمَانُ ، مَا لِى أَرَاكَ مَهْمُومًا؟!»** .. قال : يارسول الله ، وهل دَخَلَ على أحد ما دَخَلَ علىَّ ؟! .. ماتت ابنة رسول الله (ﷺ) التى كانت عندى ، وانقطع ظَهْرِى ، وانْقطع الصهر بينى وبينك ، وبكى .. فإذا برسول الله (ﷺ) يقول : **«يا عُثْمانُ ، هَذَا جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلامُ يأمُرُنِى عن الله عز وجل أَنْ أزوِّجَكَ أُخْتَها أُمَّ كُلْثُومٍ عَلَى مِثْلِ صَدَاقِهَا ، وعَلَى مِثْلِ عِشْرَتِهَا»**[1] .. فزوَّجه إيَّاها ، وكان ذلك فى السنة الثالثة من الهجرة فى شهر ربيع الأول، ولم تُنْجب (رضى الله عنها) منه ثم ماتت فى السنة التاسعة من الهجرة ، وغَسَّلَتْها أم عطيَّة الأنصاريَّة بأمر رسول الله (ﷺ) ولفَّت جسدها بثوب له ، ثم كفَّنَتْها ، وقد صلَّى رسول الله (ﷺ) عليها ودفنها فى البقيع إلى جوار شقيقتها رُقَيَّة (رضى الله عنهما) لتكتمل دائرة الأحزان بفقْدِ البنات دُون أن يترُكْنَ ذُرِّيَّة ؛ لكى تتحقَّق إرادة «الله» عز وجل فى انحصار ذُرِّيَّة النبى (ﷺ) فى أبناء السيدة فاطمة (رضى الله عنها) صُغرى بناته، والوحيدة التى بَقِيَت على قيد الحياة بعدَهُن .. ومن العَجِيبِ أنه (ﷺ) يُسَرِّى عن عثمان بن عفان (رضى الله عنه) قائلا : **«لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ثَالِثَةً لَزَوَّجْنَاكَ إِيَّاهَا»** .

(١) عن أبى هُرَيرة (رضى الله عنه) بنحوه ، الإصابة : ١٢٢٢٢ (٨/٢٩٠) .



السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)

□ كانت السيدة فَاطِمَة صُغْرَى بَنَات الرسول (ﷺ) ؛ وكان سِنُّها قبل البعثة حوالى سنتين أو ثلاث سنوات ، وقد نشأت فى الإسلام منذ طفولتها ، وكانت أحبَّ أهله إليه ، كما جاء عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) ، ولما هاجرت إلى المدينة خَطَبَها أبو بَكْر لنَفْسِه فأبى عليه رسول الله (ﷺ) ، وخطبها عُمَرُ لِنَفْسِهِ ورفض رسول الله (ﷺ) ، ولما طلبها عَلِيٌّ بن أبى طالب سأله رسول الله (ﷺ) : **«هَلْ عِنْدَكَ شَىءٌ تَسْتَحِلُّها به ؟»** .. قال : **والَّذى نَفْسِي بِيَدِه ما عِنْدِى شَىْءٌ** ، فسأله (ﷺ) : **«أَيْنَ الدِّرْعُ الَّتِي سَلَّحْتُكَها ؟»** .. فأفاد بوجودها ، وكانت دِرْعًا حطميَّة تتحطم عليها السيوف من شِدَّتها ، فكانت هى صَدَاقَ فاطِمَة (رضى الله عنها)(١) .. وفى إحدى الروايات أن رسول الله (ﷺ) قد استدعى عَلِيًّا وقال له :

«ياعَلِيُّ ، إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ بِفَاطِمَة» .. فزوَّجه إيَّاها ، ثم قال : **«ياعَلِيُّ ، لاتُحْدِثْ أَمْرًا حَتَّى آذَنَ لَكَ** (أى أمرهُ بالامتناع عن الدخول عليها) ، ولما أُذِنَ له استدْعاه النبي (ﷺ) وتوضَّأَ فى إناء ثم أَخَذَ ماء وضُوئِهِ ورشه عليه قائلا : **«اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِمَا ، وبارِكْ فيهِمَا ، وبَارِكْ لَهُمَا فى نَسْلِهِمَا»** .. ثُمَّ أَمَرَهُ

---

(١) عن عكرمة ، وعلى ، وابن عباس (رضى الله عنهم) عند ابن إسحاق ، وابن سعد ، وأبى داود ، وأحمد ، وفى الاستيعاب لابن عبد البر : ٤٠٥٧ (١٨٩٤/٤) والإصابة : ١١٥٨٣ (٥٤/٨ ، ٥٥) .

بالدُّخولِ بعد ذلك[٢].. وكان سِنُّها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ..

وقد قال الرسول (ﷺ) : «**يافاطِمَةُ ، إن «الله» تبارك وتعالى يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ ، وَيَرْضَى لِرِضَاكِ**» .. وتقول أُمُّ سَلَمَة : **في بيتي نزلت الآية :**

﴿..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٣]..

فأرسل النبى (ﷺ) إلى عَلِيٍّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وأوقفهم ، ثم جاء بردائه ، فغطَّاهُمْ به - وهو معهم - وقال : «**اللَّهُمَّ ، إن هَؤُلاءِ هُمْ أَهْلُ بَيْتِى فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ ، وطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**» .. فقلت : يارسولَ الله ، وأنا ؟!.. قال : «**أنْتِ إلى خَيْرٍ**»[٤] وفى رواية أخرى قالت : قُلْت :
أفما أنا مِنْ أَهْلِ بَيْتِك ؟!.. قال :
«**بَلَى إن شَاءَ الله عز وجل**» .. وكذلك حين نزلت الآية :

﴿...فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[٥]

---

(٢) عن عبد الله بن بريدة عن أبيه (رضى الله عنهما) الإصابة (٩/٥٦) .
(٣) الأحزاب : ٣٣ . (٤) عن أم سلمة (رضى الله عنها) الترمذى (٣٨٧١) والحاكم .
(٥) آل عمران : ٦١ .

جاء الرسول (ﷺ) بنفسِه ، وأهْلِهِ ، وأهْلِ بَيْتِهِ وهُمْ : عَلِيٌّ ، وفاطِمَة ، والحَسَن ، والحسين يَبْتَهِلون إلى «الله» ، لذا فقد اتَّصَفَ كل من : الحسن ، والحسين ، وعلى ، والسيدة فاطمة بصفَتين لم يجتمعا لغيرهم أبدا وهما : **إنهم أهل الرِّدَاءِ ، وأهل المُبَاهَلَة** .

وذات يوم دخل عليها النبى (ﷺ) فوجدها غاضبة ؛ فسألها عن سيدنا عَلِيٍّ قائلا : «**أينَ ابْنُ عَمِّكِ ؟**» .. ولم يقل : أين زوجُكِ ؟ وكأنه (ﷺ) يُذَكِّرها بِصِلَةِ الرَّحِم التى لا تَنْفَصِم عُرَاها .. فأجابته قائلة : خَرَجَ إلَى المْسجد مُغَاضِبًا ، ولم تَشْكُهُ ، وكذلك لم يسألها النبى (ﷺ) عن السبب ، فخرج النبى (ﷺ) إلى المَسْجد فوجده مضطجعًا وقد انحسر رداؤه عن ظهره فأصاب التراب ظهره ، فنَفَضَ التراب من عليه وقال له ملاطفًا : «**قُمْ أَبَا تُرَابٍ**»[٦] .

وفى إحْدَى المَرَّات دَخَل عليها النبى (ﷺ) وكانت مُضطجعة إلى جوار عَلِيٍّ ، فَشَكَتْ إليه مَشَقَّة عمل البيت ، وكانت تُدِيرُ الرَّحى بِيَدَيْهَا فَتَشَقَّقَتا، وسألته أَنْ يَهَبَهَا خَادِمًا تساعدها ؛ فقال لها : «**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ هو خيرٌ لكُمَا مِنْ خادِمٍ ؟!**» .. قالا : **بلَى يَارَسُولَ الله** .. قال : «**إِذَا أَخذْتُمَا مَضْجَعَكُمَا : فَسَبِّحَا الله ثَلاثًا وثَلاثِينَ ، واحْمَدَا الله ثَلاثًا وثَلاثِينَ ، وكَبِّرَا أَرْبعًا وثَلاثِينَ ذَلِكَ خيرٌ لكُمَا مِنْ خادِمٍ**»[٧] .

وفى يوم من الأيَّام خَطَبَ النبى (ﷺ) على المنبر وقال : «**أَيُّها الناسُ ، إن بَنِى هشَامِ بن المُغِيرة استأذنونى فى أن يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ**

---

(٦) عن سهل بن سعد (رضى الله عنه) البخارى (٣٧٠٣) .
(٧) عن على (رضى الله عنه) البخارى (٣٧٠٥) .

عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فلاَ آذَنُ ، ثُمَّ لا آذَنُ ، ثم لا آذَنُ ، إلا أَنْ يُرِيدَ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وينكح ابْنَتَهُمْ ؛ فإنَّها بِضْعَةٌ مِنِّي ، يُرِيبُنِي مَارَابَهَا ويُؤْذِينِي مَا أَذَاهَا»[8] ولم يقبل النبى (ﷺ) أن يكون لفاطمة ضُرَّة ، وتلك خاصية لرسول الله (ﷺ) ، وهى ابنته التى جاءت منها الذُّرِّيَّة ؛ حيث أنجبت الحسن والحسين ، ومنهما جاءت ذُرِّيَّة النبى (ﷺ) إلى يوم الدِّين .. وفى ذلك يقول الرسول (ﷺ): **«كُلُّ مَوْلُودٍ يُنْسَبُ لأَبِيهِ،وَأَوْلاَدُ عَلِيٍّ يُنْسَبُونَ إِلَيَّ»** .. ويقول عَلِيُّ بن أبى طالب : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

«إذا كَانَ يومُ القيامةِ نادى مُنادٍ من وراء الحجاب : ياأَهْلَ الجَمْعِ ، غُضُّوا أَبصَارَكمْ عن فاطِمَةَ بنتِ مُحَمَّدٍ حتى تَمُرَّ» ..

وتقول عائشة (رضى الله عنها) أَقْبَلَتْ فاطِمَة كأن مشيتَها مشْيَةَ أبيها ، ودخلت عليه فى مرض موته وهى تقول : **واكَرْبَ أَبَتَاه** .. فقال لها : **«لا كَرْبَ عَلَى أبيكِ يَابُنَيَّتِي بَعْدَ الْيَومِ»** ، فاقْتَرَبَتْ من فِرَاشه ، وأسرَّ إليها حديثا فبكت ، فأدناها منه مرةً أخرى وأفضى إليها بشىء فتبسَّمت وتهلَّلت أسارير وجهها ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حُزْن ، فسألتها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشى سِرَّ رسول الله (ﷺ) .. فلما قبض سألتُها ، فأخبرتنى أنه أسرَّ إليها فقال : **«إنَّ جِبْرِيلَ كان يُعَارِضُنى بالقُرآنِ فى كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وإنَّهُ عَارضَنِي العَامَ مَرَّتين ، وما أُرَاهُ إلا وقَدْ حَضَرَ أجَلى ، وإنَّك أَوَّلُ أهْلِي لحوقًا**

(٨) عن المِسوَر بن مخرَمة (رضى الله عنه) البخارى (٥٢٣٠) .

لى ، **ونِعْمَ السَّلَف أنَا لَكِ»** فَبَكَيْتُ ، فقال : **«ألا تَرْضِينَ أنْ تَكُونِى سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ؟!!»**[٩] .

وحين مات النبى (ﷺ) حزنت عليه فاطمة حزنا شديدًا ، وقالت لأنس بن مالك : **كيف طَابَتْ قُلُوبُكُم ؟!.. تُحثُونَ التُّرابَ على رسولِ الله** (ﷺ) !!.. وما رُئِيَتْ بعد ذلك ضاحِكَةً أبدًا حتى ماتت (رضى الله عنها) .

ومضت سِتَّةُ شهور من الحُزْن الشديد والترقُّب ، ومرضت مرضا شديدا حتى كان يوم فأصبحت طَيِّبَة النَّفْس نشيطة ، وطلبت من صاحبة لها أن تُعِدَّ لها غُسْلاً فاغْتَسَلَتْ ، ثم طَلَبَتْ ثِيابًا لها جديدة فَلَبِسَتْهَا ، ثم قَدَّمَت فِرَاشها وسط البيت فنامت عليه مُسْتَقْبِلَةَ الْقِبْلَة ، ثم قالت لصاحبتها : **إنِّى مَقْبُوضَةٌ الآن ، وقد اغْتَسَلْتُ فلا يَكْشِفنى أحَدٌ ، وادْفِنُونِى ليلا ..**

وماتت (رضى الله عنها) وهى بنت تسعة وعشرين عاما ، ودُفِنَت فى (بقيع الغَرْقَد) وكانت أول امرأة يُغَطَّى نَعْشُها فِى الإسلام[١٠] ، وذلك بُنَاءً على طَلَبِها .. ولم يتزوَّج عليها زوجها فى حياتها قط خَوْفًا من غضب أبيها الذى انْقَطَع نَسْلُهُ إلاَّ منها .



(٩) عن فاطمة (رضى الله عنها) فتح البارى شرح (٣٧٦٧) والترمذى (٣٨٧٢) .
(١٠) الاستيعاب (١٨٩٨/٤) .

السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق

□ هى الابنة الكُبْرى لأبى بَكْرٍ الصديق ، وشقيقة لِعَبدِ الله بن أَبِى بَكْرٍ ، ولكنها ليست شقيقة للسَّيِّدَةِ عَائِشَة ؛ فَأُمُّها تسمى : قتيلَة،وأُمُّ عائشة هى : أُمُّ رومان .. وهى قديمة فى الإسلام لم يسبقها فى ذلك إلا سبعة عشر إنسانا ، وحين هاجر النَّبِىُّ (ﷺ) جهزت له السُّفْرَة من الطعام والزَّاد وكذا لأبى بكر ، ولم تجد ما تلفُّها به غير نطاقها فشقَّته نِصْفَينِ لكُلٍّ منهما النصف ، ومن هنا لُقِّبتْ بذَاتِ النِّطَاقَيْنِ[1] .

وقد هاجرت السيدة أسماء مع زوجها الزُّبَيْر بن العَوَّام ابن صَفِيَّة بنت عَبْدِ المُطَّلِبِ عمَّة النبى (ﷺ) ، وكانت حاملا فى عَبْدِ الله ابن الزُّبَيْر فكان أَوَّل مَوْلُودٍ فى الإسلام ، حيث وُلِدَ فى قُبَاءَ وَحنَّكَهُ رسولُ الله (ﷺ) ، فكان أوَّل ما دخل جوفه لُعَابُ النَّبِىِّ (ﷺ)، وقد طُلِّقَتْ أسْماء من الزُّبَيْرِ بعد أن كَبِر عَبْدُ الله ، فقد روى أنه ذهب لأَبِيه قائلا له : **مِثْلِى لاَ تُوطَأُ أُمُّهُ** .. وحين جاءت خِلاَفة يَزِيد بن مُعَاوِيةَ رفض عَبْدُ الله بن الزُّبَيْرِ أن يُبَايِعَه وبُويِعَ له هو بالخِلاَفة ، وقد أرسل يَزِيدُ بنُ مُعَاوِية إليه جيشًا لمحاربته،وكانت أمه تعيش معه ، وكان ذلك فى السنة الثالثة والسبعين من الهجرة .. ولما دخل عليها ابنها عبد الله ابن الزُّبَيْرِ يقول لها : **ياأُمِّى إنَّ فِى الْمَوتِ لَرَاحَة ..** قالت له وهى تعظه : **يَابُنَىَّ لا تقْبَلَنَّ بالذُّلِّ مَخَافَةَ المَوْتِ .. يابُنَىَّ ،**

---

(١) الاستيعاب : ٣٢٢٦ (١٧٨٢/٤) .

لَضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ ضَرْبَةٍ بالسَّوْطِ فى ذُلٍّ .. قال : **ياأُمِّى ، أَخَافُ أَنْ يُمَثَّلَ بِجُثَّتِى بَعْدَ مَوتى** .. فقالت : **يابُنَىَّ ، وهل يَضِيرُ الشَّاةَ سَلْخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا ، واللهِ يابُنَىَّ ، إِنِّى لأَرْجُو ألاَّ أَمُوتَ حَتَّى يَنْتَهِى أَحَدُ طَرَفَيْكَ : إمَّا أَنْ يَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، وإِمَّا أَنْ تُقْتَلَ**.. وخرج الابن للقتال من أجل حقٍّ قد ارتآه ، وقد اطمأن على أن أُمَّه التى بلغت من العمر مائة من السنين،وذهب بصرها ، ووَهَن عظمها ، سوف تصبر على ما يصيبه ، وحدث ما توقَّعه ، فقد قُتِلَ ثم صُلِبَ على خَشَبَةٍ حتى يراه الناس ، وخرجت الأم يقودها أحد الناس تتوكَّأُ على عصا حتي وقفت تحت جَسَد ابنها المتدلِّى،ثم قالت : **أَمَا آنَ لِهَذَا الرَّاكِبِ أَنْ يَنْزِلَ**[٢] ، وتعود الذكريات إلى زوجها الذى قُتِلَ غَدْرًا منذ سنوات.. ذلك الزوج الذى بشَّره رسول الله (ﷺ) بِجوَارِهِ فى الجَنَّةِ ولقَّبه بِلَقَبٍ لم يُلَقَّبْ بِهِ سِوَاهُ ، وكيف لا وقد كان له سيفٌ طَالَمَا كشف الكُرَبَ عن رسول الله (ﷺ) .

وتموت التَّقِيَّة النَّقِيَّة بعد صلْب ابنها بعِشْرين يوما ، تموت قَرِيرَة العَيْن بإسلامها ، وصَبْرِها ، وأنها كانت أَوَّل امرأة تَعْلَمُ بِهِجْرَة الرسول (ﷺ) إلى المدينة ، ومع ذلك حَفِظَت السِّرَّ رغم محاولات صناديد قريش أن يستخرجوه منها ، حتى وصل الرَّكْبُ المُبَارَكُ فى أمان «الله» إلى المدينة المنوَّرَةِ .



(٢) الإصابة : ١٠٧٩٨ (٤٨٧/٧ ، ٤٨٨) .

السَّيِّدَةُ أمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أبِي طَالِبٍ

□ أُمُّها فَاطِمَةُ سَيِّدَة نِسَاء العَالَمِينَ ، وَجَدَّتُها خديجة سيدة نساء العالَمِين ، وَجَدُّها رسول الله (ﷺ) سَيِّد الأَوَّلِين وسَيِّد الآخِرين ، وهى أخت الْحَسَن والْحُسَيْنِ ، خَطَبَها عُمَرُ بْنُ الخطَّاب لِنَفْسِهِ من أبيها فاعْتَذَر وتعلَّل بِصِغَرِ سِنِّهَا ، فأَلحَّ عُمَرُ إلْحَاحًا شَدِيدًا وقال : **زَوِّجْنِيهَا ؛ فَإِنِّى أَرْصُدُ مِنْ كَرَامَتِها مَا لا يرْصُدُهُ أحَدٌ** .. فقال الأب : **أنا أبعثُها إليكَ ، فَإِن رَضِيتَها فقدْ زوَّجتُكَها** .. وعاد الأب إلى بيته واستدعى ابنته ، وأعطاها بُرْدًا ، وقال لها : **اذْهَبِى بِهَذَا إلى أَمِيرِ المُؤْمِنينَ وقُولِي لَه : أَرْسَلَنِى أَبِى يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ : إنْ رَضِيتَ البُرْدَ فَأَمْسِكْهُ ،وإنْ سَخِطتَهُ فَرُدَّهُ** .. فذهبت إلى عُمَرَ ، وقالت له ذلك ، فقال : **قُولِي لَهُ:لَقَدْ رَضِيتُ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا** ، فقالت : **أَتَفْعَلُ هَذَا ؟!! لَوْلاَ أَنَّكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لَكَسَرْتُ أَنْفَكَ** .. ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت : **بَعَثْتَنِى إِلَى شَيْخِ سُوءٍ** .. فقال الأب : **يا بُنَيَّتِى ، إنَّهُ زَوْجُكِ** .

وجاء عُمَرُ فجلس إلى المهاجرين فى الرَّوْضَة الشريفة وقال : **رَفِّئُونِى**[1] .. فقالوا : **بماذا ياأميرَ المؤمنين ؟**.. قال : **تزوجتُ فُلاَنة ، لقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : «كُلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ وصِهْرٍ يَنْقَطِعُ يَومَ القِيَامَةِ إلاَّ سَبَبِى ونَسَبِى وصِهْرِى» .. وكان لى به عليه**

(١) رَفِّئونى : هنِّئونى .

الصلاة والسلام النَّسَبُ والسَّبَبُ[2] ، **فأردْتُ أن أجمع إليه الصِّهْرَ**[3] .. فهلَّل المهاجرون ورفَّئوه[4] .. وقد أنجَبَت لأمير المؤمنين ولدا وبنتا.. وبعد ما قتل عُمَرُ بن الخطاب تزوَّجت الحَسِيبَة النَّسِيبة من عون بن جَعْفَر بن أبى طالب .. ثُمَّ ماتت بعد ذلك هى وابنها من عمر بن الخطاب فى يوم واحد[5] ، رضى الله عنها وأرضاها .

ويتبيَّن لنا من هذه القصة حرص الصحابة (رضوان الله عليهم) على اختيار الزوجات عملا بقول رسول الله (ﷺ) : **«تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ ؛ فَإِنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ»**[6] .. وقوله (ﷺ) : **«تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِجَمَالِهَا ، وحَسَبِهَا ، ومَالِهَا ، وَدِينِهَا .. فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»**[7] .

فعلى الشاب الذى يريد الزواج أن يكون بحثه واختياره عن أُمٍّ لأولاده الذين سوف يُرْزَقُ بهم ، ولا يكون جُلُّ هَمِّه البحث عن الجمال أو المال .. وليعلم أن البيئة التى نشأت فيها الفتاة لها التأثير الأقوى ؛ فيحرص على تَحرِّى البيوت الكريمة التى لا سلطان فيها إلا للأب الصالح ، وأن تكون الأم طائعة لزوجها ، مُتَفرِّغَة لشئون بيتها ، ورعاية أولادها ، فالبنت مرآة أُمِّها ..

---

(٢) النَّسَب : زواج النبى (ﷺ) من صفية بنت عمر ، السبب : الإسلام . (٣) التزوُّج من ذُرِّيَّته .
(٤) الاستيعاب : ٤٢٠٤ (١٩٥٤/٤ ، ١٩٥٥) وذكر ابن حجر أن ذلك عند ابن سَعْد فى الطبقات ، الإصابة (٢٩٤/٧، ٢٩٥) . (٥) المصدر السابق (١٩٥٦/٤) والإصابة : ١٢٢٣٣ (٢٩٤/٧) .
(٦) عن عائشة (رضى الله عنها) رواه ابن ماجة بمعناه (١٩٦٨).
(٧) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) متفق عليه ، مسلم (٥٣ - ١٤٦٦) .

السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِب

□ هى عَمَّة النَّبِىِّ (ﷺ) الوحيدة التى أسلمت قديما بمكةفى بدء الإسلام ، وكانت متزوِّجة فى الجاهلية ثُمَّ طُلِّقَت ، وتزوَّجت من العَوَّام بن خُوَيْلِد وهو أخو السيدة خَدِيجة ، وأنجَبَتْ منه الزُّبَيْر بن العَوَّامِ الذى تزوَّج من أسماء بنت أبى بَكْرٍ الصِّدِّيق ، وهى من أوائل آل بيت النبى (ﷺ) الذين أسلَمُوا .. وهى أخت سيدنا حَمْزَة الذى كان أشجع الناس فى قتال المشركين (ببَدْر) ، ولما قتل فى غزوة (أُحُد) **ذهب النبى (ﷺ) بعد انتهاء المعركة يتفقَّد القَتْلَى ، وحَزِن للغاية عندما رأى ما فعله المشركون بجُثَّته ..**

وحين أرادت السيدة صفية أن تنظر إلى أخيها ، قال رسول الله (ﷺ) لابنها الزبير : «**امْنَعْها يازُبَيْرُ مِنْ أنْ تَرى ما بأَخِيها**» .. فلقيها الزبير وقال : **أى أُمَّه ، إن رسولَ الله (ﷺ) يأمُرُكِ أن تَرْجِعِى ..** قالت : **ولِمَ ؟! لقد بَلَغَنى أنه مُثِّلَ بأَخِى ، وذاكَ فى الله ، فما أرْضَانَا بما كانَ مِنْ ذَلِكَ ، لأصْبِرَنَّ ، ولأَحْتَسِبَنَّ إنْ شَاءَ الله** .. فلما أخبر الزُّبير رسول الله (ﷺ) بقول السيدة صفية سمح لها برؤية أخيها حمزة فذهبت ، ونظرت إليه وقالت : **إنَّا لله وإنَّا إليهِ رَاجِعُون** ، ودَعَتْ له ، وانْصَرَفَتْ صابرةً راضيةً بقضاءِ «الله»[1] .

وكان ابنها الزبير بن العوام صاحب أشهر سيف فى الإسلام الذى

(١) الإصابة : ١١٤٠٥ (٧/٧٤٥) .

طالما فرَّج به الكُرب عن رسول الله (ﷺ) وشهدت ساحات المعارك صولاته وجولاته .. وقد قتل (رضى الله عنه) غَدْرًا وهو قائم يصلى فى بعض الطريق ، قتله ابن جرموز الذى قال عنه على بن أبى طالب : **بَشِّرُوا قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بالنَّارِ ..**

وفى غزوة الخندق كانت السيدة صَفِيَّة فى حِصْن ومعها بعض النساء ، فرأت يهودِيًّا من بنى قُرَيْظَة يطوف بالحِصْن ؛ فطلبت من حسَّان بن ثابت – وقد كان معها – أن يقْتُلَهُ مخافة أن يُطْلع اليهود على مكانهم ، فقال لها : **يَرْحَمُكِ الله يا ابْنَةَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، و«الله» لقدْ عَلِمْتِ أنّى لَسْتُ بِصَاحِبِ هَذَا** .. فلما تأكَّدت أنه غير فاعل حزمت وسطها ، وأخذت عمودًا ضربت به اليهوديَّ حتى قتلته فكانت بذلك أوَّل امرأة قتلت رَجُلاً من المُشْركين ، ولما عادت قالت لحسَّان : **انْزِلْ إليه ، وخذ سلاحَهُ ومتَاعَه ، فوالله لم يَمْنعنِى مِنْ ذَلِكَ إلاَّ أنَّه رَجُلٌ**[٢].. وقد تُوفِّيت السيدة صفية وعمرها ثلاثة وسبعون عاما، وكان ذلك تقريبا فى العام العشرين من الهجرة ، ودُفِنَتْ بالبقيع.. ولقد قال لها النبى (ﷺ) يوما: **«يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ، اعْمَلِى؛ فإنِّى لاَ أُغْنِى عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا»**[٣] .. وصدق رسول الله (ﷺ) فإنه ليس بين «الله» وبين أحد من خلقه نَسَبٌ .. هو ربهم .. وهم عباده .. يتفاضلون بالعافية .. ويدركون ما عند «الله» بالطاعة .



(٢) عند ابن سعد فى الطبقات ، ذكره ابن حجر فى الإصابة .
(٣) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) البخارى (٢٧٥٣) .

السَّيِّدَةُ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِى ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ

□ هى أُمُّ النبى (ﷺ) فى الرِّضَاعة ، وتحكى قصة إرضاعها للنَّبِيِّ (ﷺ) فتقول : ذَهَبْنَا إلى مكَّةَ فى سَنَةٍ شَهْبَاء[1] ، وكُنْتُ عَلَى أتان[2] قمراء[3] وشارف[4] ، وكَانَ مَعِى زَوْجِى وابْنٌ لَنا ، وقد عُرِضَ النَّبِىُّ (ﷺ) على المَرَاضِعِ فلم تَقْبَلْ إحْدَاهُنَّ أَنْ تَأْخُذَهُ لأنه كان يَتِيمًا ، إنَّمَا يقُلن : لا حَاجَة لَنَا فِى يَتِيمٍ إنما نُرِيدُ المَعْرُوفَ مِنْ أَبِى الوَلَدِ .. وكانت الأتان ضعيفة عجْفَاء تؤخِّر القافلة دائما وطفلى لا يكُفُّ عن البُكَاء فليس فى ثديى لبن يُغَذِّيه ، ولا فى الناقة لَبَنٌ يُغْنِيهِ ومع ذلك فقد رفضته أنا أيضا ، ولكن بعد أن وجدت أنه ما من مُرْضِعَة إلا وأخذت لها رضيعا قلت لزوجى : **والله ما أعود خاوية هَلُمَّ بنا إلى هذا اليَتِيم لنأخذه لَعَلَّ «الله» يُبارِك لنا ..** فأخذته وبمجرد أن وصلت إلى مكان القافلة فاض اللبنُ من ثَدْيى فرضع النَّبِىُّ (ﷺ) حتى رَوَى – وكان لا يرضع إلا من ثدى واحد ، ويرضع ابني من الثدى الآخر – وإذا بالناقة وقد امتلأ ضَرْعُها باللبن ، وإذا بالأَتَانِ تسرع حتى أن صويحباتى اعتقدْنَ أنها ليست الأتان التى جئت بها ، وَعُدْنَا إِلَى دِيَارِنَا وَمَا رَأَيْتُ أرضًا أجدبَ من أرضنا ، وإذا بالغَنَمِ تَخْرُجُ وتَسْرَحُ وتعودُ وقد امْتَلأَت أضراعُها باللَّبَنِ، وأصبَحَ الناسُ يقولونَ لرعاتهم : ارْعَوا الأغنام حيث ترعى أغنامُ حَلِيمَةَ .. ولكن لم تحدث البركة إلا لأَغْنَامِى فقط ، ولما بلغ عمره (ﷺ) عامين كان يشتد عُودُه أكثر من عمره ففطَمْتُه وعُدت به للسيدة

(١) صعبة . (٢) أنثى الحمار . (٣) بيضاء . (٤) ناقة مُسِنَّة .

آمِنَة ، ولكنى كنت أشدّ تعلُّقا به لما رأيته من خير على يديه وتمَّيت لو أنى رجعت به ، وبالفعل أخذت أرجو السيِّدة آمنة حتى قَبِلَتْ وعدت به بعد جَدَلٍ شديد ، وأبقيته معى إلى أن كان عمره خمس سنوات وشهرا ثم حدث أن كان مع ابنى – الذى هو أخوه من الرضاعة – فى الغنم يومًا فعاد ابنى مُسْرِعًا وقال : أَدْرِكُوا أخي القَرَشِيَّ ، فسألته عمَّا به ، فقال : جاء رَجُلاَن فأضْجَعَاه فشقَّا صَدْرَه وأَخْرَجَا قَلْبَهُ، فخفت وذهبت إليه مُسْرِعة ومعى زوجى فوجدناه مُمْتَقِعًا ، فَسَألناه : ما الْخَبَرُ ؟!.. فَأَكَّدَ لنا ما قاله ابنى وأضاف : **أَنَّهُمَا أخْرَجَا مِنْ صَدْرِهِ شيئًا فَطَرَحاهُ ، ثُمَّ غَسَلاَ صَدْرَه وقلبه بِثَلْجٍ فى طسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، ثُمَّ أَعَادَا قلبه إِلَى مَكَانه ..** فخشينا عليه من الشيطان ؛ فأردنا أن نُعِيدَه لأُمِّهِ وهو سَلِيمٌ فأسرعنا به إلى أمِّه مما أثار دهشتها ؛ فقد كنا حريصين على استبقائه معنا من قبل ، فلما أَلَحَّت علينا لمعرفة ما حدث أصدقناها القول فأجابتنا قائلة : **والله لَنْ يَمَسَّهُ الشَّيْطَانُ ولاَ سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْه** ، ثم قالت : **والله حِينَمَا حَمَلْتُ بِهِ رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنَّ نُورًا قَدْ خَرَجَ مِنِّى فَأَضَاءَ كُفُورَ بُصْرَى بِالشَّامِ ، وَمَا رَأَيْتُ حَمْلاً أَخفَّ مِنْ هَذَا الحَمْل .. وحِينَ وَلَدْتُ وَقَع عَلَى الأَرْضِ ، وَوَضَعَ يَدَيْه عَلَى الأَرْضِ ، وَرَفَع رأسَهُ لِلسَّمَاءِ ، وإنَّ لابِنِى هَذَا لَشَأْنًا**(٥) .

وقد أَسْلَمَت السيدة حَلِيمَة السعدِيَّة ، ولحقت بالرسول (ﷺ) إلى المدينة ، وحين دخلت عليه بسط لها رداءه، وأجلسها عليه.. وعاشت (رضى الله عنها) فى كنفه ، وماتت بالمدينة المنورة ، ودفنت بالبقيع .

---

(٥) عن حليمة بنت الحارث (رضى الله عنها) للموصلى والكبير ، وفى جمع الفوائد (٦٣٦٧/٤) .

السيدة أم أيمن بركة الحبشية

□ كان رسول الله (ﷺ) يقول عنها : «**هِىَ أُمِّى بَعْدَ أُمِّى**»[1]، نَعَم !!.. فقد كانت حاضِنَته بعد موت أُمِّهِ وحين كَبِرَ أَعْتَقَهَا ، وقد أَسْلَمَت قديما وهاجرت إلى الحبشة ، ثم هاجرت إلى المدينة المنوَّرة ، وزوَّجها رسول الله (ﷺ) من مولاه زَيدِ بنِ الحَارِثَة وهو من أَحَبِّ الناس إليه ، فولدت له ولدًا وكان هو أُسَامَةُ بنُ زَيدٍ وكان قُرَّة عَيْنِ للنبى (ﷺ) ومن أقرب المُقَرَّبين إليه ، وقد وَلاَّه قيادة الجيش وهو ابن ثمان عشرة سنة ، فاعترض بعض الناس على ذلك فخطبهم وقال : «**إن تَطْعَنُوا فِى إمَارَته فَقَدْ طَعنتُم فِى إمَارَة أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، والله إنْ كَانَ لَخليقًا لِلإمَارَة، وإنَّ هَذَا لَخليقًا للإمَارَةِ كما كَانَ أَبُوهُ خَلِيقًا لِلإمَارَة**»[2].

ولقد كانت أشدَّ الناس حُبًّا لرسول الله (ﷺ) حتى أنها شربت بَوْله فى أحد الأيَّام ، وحين علم بذلك قال لها : «**لَقَدْ احْتَظَرْتِ مِنَ النَّارِ بِحَظَارٍ لاَ ييجعُ بَطْنُكِ أَبَدًا**»[3] .. وحين انتقل النبى (ﷺ) إلى الرَّفِيق الأعلى بكت بُكَاءً شديدًا فقيل لها : **ما يُبْكِيكِى هَكذا** ؟ قالت : **إنِّى عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِىَّ (ﷺ) سيمُوتُ ولَكِنِّى أَبْكِى عَلَى الْوَحْى الَّذِى رُفِعَ عَنَّا**[4] ، وكان أبو بكر وعمر يزورانها فى بيتها حتى ماتت (رضى الله عنها) بعد ما قُبِضَ رسول الله (ﷺ) بخمسة أشهر ، ودُفِنَت بالبقيع .

(١) الاستيعاب : ٣٢٥٢ (١٧٩٤/٤) الإصابة : ١١٨٩٨ (١٦٩/٨) .
(٢) عن ابن عمر (رضى الله عنهما) للشيخين ، والترمذى ، فى جمع الفوائد (٨٨٠٨/٣) .
(٣) الاستيعاب (٣٢٥٢) والإصابة : ١٠٩١٦ (٥٣١/٧) ، ١١٨٩٨ (١٧١/٨) .
(٤) عن أنس (رضى الله عنه) مسلم ، وأحمد .

السيدةُ أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ

□ كانت من الأوائل فى الإسلام ، وقد هاجرت مع زوجها جَعْفَر ابنِ أبى طالب إلى الْحَبَشَةِ فى الهجرة الأولى ، وكان زعيما للمهاجرين وخطيبا بين يدى النجاشى ، وكان كلامه ومنطقه سببًا فى تأمين النجاشى للمسلمين فى دياره ، وإكرامه لهم .. بل كان سببًا فى إسلام النجاشى نفسه .. وقد أنجَبَتْ مِنْهُ : عَبْدَ الله بن جعفر ، وعونًا ، ومحمد بن جعفر ، ثم هاجرت مع زوجها إلى المدينة عام فتح (خَيْبَر) .. وكانت الْعَيْنُ تسرع إلى أولادهما ، ولما رآهم النبى (ﷺ) سألها : «مَالِى أَرَاهُم ضَامِرِينَ» .. قالت : تُسْرِعُ إِلَيْهِم الْعَيْنُ يارسول الله ، أَفَنَسْتَرِقِى لَهُمْ ؟ .. قال : «نعمْ» .. وعلَمَهم الرُّقْية[1] ، ولما قُتِل سيدنا جَعْفَرٌ فى غزوة (مؤتة) نزل سيدنا جبريل يخبر النبى (ﷺ) بذلك ويُنْبئه أن زيد بن الحارثة أخَذَ الرَّايَةَ ثم قُتِلَ ، فَأَخَذَهَا عَبْدُ الله ابن رَوَاحةَ فَقُتِلَ ، ثم أخذها خالدُ بنُ الوليد فَفُتِحَ لَهُ .

فذهب النبى (ﷺ) إلى بيت جعفر،ودخل على أسماء بنت عميس وطلب أولادها ، وأخذ يُقَبِّلُهم ، ويتشمَّمُهم ، وعيناه تذرفان ؛فعلمت أن زوجها استشهد فصرخت ، ودخل نساء الأنصار يشاركنها البكاء .. وحين سمعهن النبى (ﷺ) قال : «على

(١) عن أسماء بنت عُمَيس (رضى الله عنها) ، الترمذى ، والنسائى ، ذكره ابن حجر فى الفتح (٥٧٣٩) .

مِثْلِ جَعْفَرٍ فَلْتَبْكِ الْبَوَاكِي»[٢] وبِانْتِهَاءِ عِدَّة السيدة أسماء تزوّجها سيدنا أبو بكر الصِّدِّيق ، فأنْجَبَتْ منه محمد بن أبى بكر .. ثم بعد موته تزوَّجها عَلِىّ بن أبى طالب ، فولدت له يَحْيى ..

وهكذا كانت رِعَاية الصحابة (رضوان الله عليهم) بأرامل الشهداء بالزواج منهن وكفالة أطفالهن .

وهى من أحسن الناس أصْهارًا ؛ فمن أصْهَارها : رسول الله (ﷺ) فهى أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبى (ﷺ) ، والعبَّاس الذى تزوَّج من أختها أم الفضل ، وحمزة بن عبد المُطَّلب فقد تزوَّج من أختها سُلمى بنت عُمَيْس ..

وذات مرة قال لها سيدنا عُمَر : **نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ إلا أننا سَبَقْنَاكُم بِالهِجْرَة** .. فذهبت للنبى (ﷺ) تُخْبِره بمقالة عمر ، فردَّ النبى (ﷺ) مُطَيِّبًا قَلْبَها قائلا :

«بَلْ لَكُمْ هِجْرَتَانِ : هِجْرَةٌ إلى الْحَبَشَةِ ، وهِجْرَةٌ إلَى الْمَدِينَةِ»[٣] .



(٢) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) بنحو القصة السابقة للطبرانى وفى الكبير مطولاً .
(٣) أخرجه ابن سعد بنحوه ، وذكره ابن حجر فى الإصابة : ١٠٨٠٣ (٧/٤٩٠) .

السَّيِّدَةُ خَيْرَةُ

☐ كانت (رضى الله عنها) زوجة لِكعْب بن مالك (رضى الله عنه) وكان كَعْبٌ أحد شُعَراء ثلاثة متخصِّصين فى نظم الشعر على عهد النَّبىِّ (ﷺ) وهم : حَسَّانُ بنُ ثَابتٍ ، وعَبْدُ الله بنُ رَوَاحَة ، وكَعْبُ ابْنُ مَالِكٍ ، وكان متخصِّصًا فى مَدْح المسلمين وهِجَاء المُشْرِكين ، وقد ذهبت إلى رسول الله (ﷺ) تتصدَّق بِحُلِيِّهَا ، فقال لها : «**ياخيرة ، إنَّهُ لا يجُوزُ لِلْمَرْأةِ فِى مَالِهَا أَمْرٌ إلا بإذْنِ زَوْجِهَا ، فَهَلِ أَسْتَأْذَنْتِ كَعْبًا ؟!**»[1] .. فقالت : نَعَمْ .. فبعث رسول الله (ﷺ) إلى كعب فقال : «**هل أَذِنْتَ لِخَيْرَةَ أن تتصدَّقَ بِحُلِيِّها؟!**» .. قال : نعم .. فَقَبِلَهُ النبى (ﷺ) ، لذلك فقد أفاد الفقهاء أنه : **لا يَصِحُّ للمرأة أن تتصرَّفَ فى مَالِها كُلِّهِ حالَ حياتِها إلا بعدَ إِذْنِ زوجِها** .. وقد حدَّد لها الشرع جزءا تتصرَّف فيه بحرية وما عداه لابد من الاستئذان فيه ، بعكس الرجل إذ يمكنه أن يتصرَّف فى ماله كُلِّه حال حياته بغير إذْنِ زوجته .. وفى كُلِّ الأحوال لا تجوز وصية الرجل أو المرأة إلا فى حدود ثلث المال فقط ، ويشترط أن تكون الوصية لغير وارث .



---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : ٣٣٣١ (١٨٣٥/٤) الإصابة : ١١١٣٩ (٦٣١/٧) .

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِى مُعَاوِيَةَ

□ كانت (رضى الله عنها) زوجة لعبد الله بن مسعود ، وكان فقيرًا وكانت هى مُوسِرَة ، وحين طلب الرسول (ﷺ) من النساء أن يتصدَّقْنَ ولو من حُلِيِّهنَّ ، ذهبت إلى رسول الله (ﷺ) تسأله : **هَلْ يُجْزِىء عَنِ المَرْأةِ أن تتصدَّقَ مِنْ مَالِهَا على زَوْجِهَا وأيتامٍ فى حِجْرِها ، هم أولاده مِن امْرَأةٍ أُخْرَى ؟** .. فأبلغها بلال (رضى الله عنه) قوله (ﷺ) : «**لَهُنَّ أجْرُ الصَّدَقَةِ وأجْرُ القَرَابَةِ**»[1] ..

فأصبح من حق المرأة أن تُخرِجَ من مالها ، وتنفقَ على زوجها ، وأولاد زوجها من امرأة أخرى إن كان محتاجًا ، وتحتسب هذه الصدقة : **صدقة مُضَاعفة** .

وهذا يُصَدِّقُ حديث رسول الله (ﷺ) الذى يقول فيه : «**الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ : صَدَقَةٌ .. وَعَلَى ذِى الرَّحِمِ (القُرْبى) ثِنْتَان : صَدَقَةٌ ، وصِلَةٌ**»[2] .. وعليه فإن مشاركة الزوجة زوجها فى تحمُّل أعباء المعيشة ، وإن كان ليس فرضا عليها ، لكنها تُثاب عليه بالأجْرِ الجَزِيل ، ويرفع منزلتها عند زوجها ، ويزداد حُبُّها فى قَلْبه ، ويجعله يُشْرِكها فى أموره كلها .

(١) فى الصحيحين ذكره ابن حجر العسقلانى فى الإصابة : ١١٢٥١ (٦٨١/٧) ، ومختصرا فى الاستيعاب : ٣٣٦٢ (١٨٥٦/٤) .

(٢) عن سلمان بن عامر (رضى الله عنه) الترمذى (٦٥٨) ، وأبو داود (٢٣٥٥) والنسائى (٩٢/٥) وابن ماجة (١٨٤٤) .

السَّيِّدَةُ عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيدِ بْنِ عَمْرو بن نُفَيْل

□ كان أبوها مُوحِّدًا قبل بعثة النبى (ﷺ) ، فقد كان يعبد «الله» وحده مُتجنّبًا أفعال الجاهلية ، وقد ربى ابنه زيدًا على التوحيد فكان من أوائل من أسْلَمَ بمجرَّد أن بُعِث النبى (ﷺ) ، وكان سببًا فى إسلام عمر بن الخطاب ابن عمه وشقيق امرأته ولقد كانت السيدة عاتكة (رضى الله عنها) بارعة الجمال فائقة الحسن ، ومن أُولَيات المسلمات المهاجرات .. وقد تعلَّق بها زوجها عبد الله بن أبى بكر الصديق تعلُّقا شديدا ، وملك حُبُّها قَلْبَه حتى شغله عن الغزو ، وعن كثير من شئونه ، فأمره أبوه بطلاقها فطلَّقها طاعة لأبيه ، وحزن لذلك حزنا شديدًا ظهر فى أشعاره الباكية التى منها :

أعَاتِكُ، قلبى كُلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ... إليكِ بِمَا تُخْفِى النفوسُ مُعَلَّق
ولَمْ أرَ مِثْلِى طَلَّقَ اليومَ مِثْلَها ... ولا مِثْلَها فى غَير جُرْمٍ تُطلَّق
لها خلق جَزْلٌ ، ورَأىٌ ومَنْصِبٌ ... وخُلُقٌ سَوِىٌّ فى الحياءِ ومَصْدَق

وما أن سمعها أبوه حتى رقَّ له ، وأشفق عليه فأمره بمراجعتها فراجعها ، وعاش معها حتى قُتِلَ شهيدًا فى غزوة (الطائف) مع رسول الله (ﷺ) فبكته وقالت ترثيه :

رُزِئْتُ بخيرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ... وبَعْدَ أبِى بَكْرٍ ، ومَا كَانَ قَصَّرا
فآلَيتُ لا تَنْفَكُّ عَيْنِى حَزِينةً ... عَلَيْكَ، ولا يَنْفَكُّ جِلْدِىَ أغْبَرا
فَلله عَيْنَا مَنْ رَأى مِثْلَهُ فَتًى ... أكَرَّ وأحْمَى فى الهياجِ وأصْبَرا

إذَا شُرِعت فِيهِ الأسِنَّةُ خاضَها　　　إلى المَوْتِ حتَّى يَتْرُكَ الرُّمْحَ أحْمرا

ثم تزوَّجها ابن عمها عمر بن الخطاب ، وأوْلَمَ عليها ، ودعا على بن أبى طالب لهذه الوليمة ، فقال لها على :

يا عُدَيَّةَ نَفْسِك .. أيْنَ قَوْلُكِ :

فَآلَيْتُ لاَتَنفكُّ عَيْنِى حَزِينَة　　　عَلَيْكَ ولاَ يَنفكُّ جِلْدِى أغْبَرَا؟!!

فبكت .. فقال عُمر :

ما دَعَاكَ إلَى هذَا يا أبَا الحَسَنِ ؟!.. كُلُّ النساءِ يَفْعَلْنَ هَذَا . فقال: ولَكِن «الله» يَقُولُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1] .

ومضت الأيامُ ، وقتل عمر بن الخطاب ؛ فقالت تَرْثِيه :

عَينِ جُودِى بِعَبْرَةٍ ونَحِيبِ　　　لا تَمَلِّى عَلَى الإمَامِ النَّجِيب

قُلْ لأهْلِ الضَّرَّاءِ والبُؤسِ: موتوا　　　قد سَقَتْهُ المَنُونُ كَأسَ شَعُوب (المنية)

ثم تزوَّجها الزبير بن العوام بعد ذلك ، وشاءت الأقدار أن يُقْتَل الزبير فى وقعة (الجَمَل) ، فعبَّرت عن فجيعتها وحزنها بشِعْرٍ باكٍ تناقَلَتْهُ الرُّكْبَان ، وجاءها عَلِىُّ بنُ أبى طالب يَخْطِبُها .. فقالت له :

يا أميرَ المؤمنين ، أنتَ بَقِيَّةُ النَّاسِ ، وسَيِّدُ المُسْلِمينَ ، وإنى أنفُسُ بِكَ عَنِ المَوْتِ ..

وأَبَتْ أن تتزوَّجه.. وظلَّت بلا زوج حتى ماتت (رضى الله عنها)[2] .

(١) الصَّف : ٢ .

(٢) قصتها بالتفصيل فى الاستيعاب : ٤٠٢٤ (١٨٧٧/٤ ، ١٨٨٠) والإصابة : ١١٤٤٨ (١١/٨) .

السَّيِّدَةُ مِحْجَنَةُ

☐ قد أورد البُخارى خبرًا عنها ولكنَّ الراوى كان فى شك إن كانت رجلا أم امرأة فقال : **كَانَ عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ (ﷺ) رَجُلٌ أَسْوَدُ – أو امْرَأة سَوْدَاء – تَقُمُّ المَسْجِدَ[1] ، فَمَاتَتْ ، فَتفَقَّدَهَا رَسُولُ الله (ﷺ) فَلَمْ يَجِدْهَا ، فَسَأَلَ عَنْهَا ، فَقِيلَ : مَاتَ – أو مَاتَتْ – يا رَسُولَ الله ، قال : «ألاَ آذَنْتُمُونِي ؟! ألا آذَنْتُمُونِى ؟!» .. فَخَرَجَ فَصَلَّى عَلَيْهَا وكبَّرَ أَرْبَعًا عَلَى القَبْرِ**[2] .. سبحان الله ... أَىُّ عطفٍ هذا ؟! وأَىُّ حنانٍ هذا ؟! امرأة سوداء لا يُعْرف نَسَبهَا ، بل هناك شك فيما إذا كانت امرأة ، أو كان رجلا يعاتب النبى (ﷺ) أصحابه فى شأنها ، وكيف لم يخبروه بموتها ؟!.. رغم اعتذارهم بأن الوقت كان ليلا ، وأن الليلة كانت شاتية باردة ، ومع ذلك أمرهم أن يدلُّوه على قبرها ، وذهب إلى القبر ، وصلى صلاة الجنازة عليها ، ودعا لهذه المرأة المجهولة التى كانت تنظِّف المسجد دون أجر ، ودون إعلان عن نَفسِها .. مما يَدُلُّ على أهمية المحافظة على نظافة المساجد التى هى بيوت «الله» فى الأرض .

هذا وقد أفاد العلماء أنه يجوز الصلاة على القَبْر صلاة الجنازة لِمَنْ لم يشهدها فى حدود ثلاثة أيام من الدَّفْن استِنادًا على فِعْل النبى (ﷺ) .

---

(١) تجمع القمامة من المسجد وتنظفه .

(٢) مُتفَقٌ عَلَيْهِ عن أبى هُرَيْرة (رضى الله عنه) البُخارىُّ (٤٦٠/١) ، ومُسْلمٌ : (٩٥٦) .

السَّيِّدَةُ أمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ

□ كانت زَوْجة لِعكْرِمَة بن أبى جَهْلٍ أحد صناديد قُرَيش ، وقد شهدت غزوة (أُحُد) وهى مع الكفار و لم تُسْلِم إلا بعد الفَتْح ، ثم هرب زوجها إلى اليمن خوفًا ، فذهبت تستأمن رسول الله (ﷺ) له ، وتستأذن فى أن تخرج فى طَلَبه ، فَأَذن لها ؛ فذهبت إلى زوجها فى اليمن،وأخبرته بأمان رسول الله (ﷺ) له وعادت به إلى المدينة ، وأسْلَمَ وقبل النبى (ﷺ) إسلامه[1] .. ويحكى عبد الله بن الزُّبَير (رضى الله عنهما) هذه القصة فيقول :

لما كَانَ يَوْمُ الفتْح أسْلَمَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الحارِثِ بن هِشَامٍ امْرأةُ عِكْرِمَةَ بنِ أَبى جَهْلٍ ، ثُمَّ قَالَتْ أُمُّ حَكِيمٍ :
يارَسُولَ الله ، قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةُ مِنْكَ إلَي اليَمَن ، وخَافَ أنْ تَقْتُلَهُ فَآمِنْهُ ؛ فَقَالَ رَسُول الله (ﷺ) : «**هُوَ آمِنٌ**» . فَخَرَجَتْ فى طَلَبِهِ ، ومَعَها غُلامٌ لها رُومِيٌّ فَراوَدَهَا عن نَفْسِها[2] ، فَجَعَلَتْ تُمَنِّيهِ حتَّى قَدِمَتْ على حيٍّ من عَكٍّ[3] فاسْتَعَانَتْهُمْ عَلَيْه ؛فَأَوْثَقُوهُ رِباطًا ، وأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةَوقَد انْتَهى إلَى سَاحِلٍ من سَوَاحِلِ (تِهامَةَ) ؛ فَرَكِبَ البَحْرَ فَجَعَلَ نُوتِيُّ[4]السفِينَة يقول له :

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البرّ : ٤١٤٢ (١٩٣٢/٤) .
(٢) طلب أن يفجُر بها . (٣) اسم قبيلة .
(٤) الملاّح الذى يدير السفينة فى البحر خاصة .

أَخْلِصْ[٥] . قال : **أَىّ شَىْءٍ أَقُولُ** ؟ قال : **قُلْ «لا إله إلا الله»** .
قال عكرمة : **ما هَرَبْتُ إلاَّ مِنْ هَذَا** . فجاءت أُمُّ حَكِيمٍ على هذا من الأمر فجعلت تُلِيحُ[٦] إليه وتقول : **يا ابْنَ عَمٍّ ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ ، وأَبَرِّ النَّاسِ ، وخَيْرِ النَّاسِ ؛ لا تُهْلِكْ نَفْسَكَ** . فوقف لها حتى أدركَتْهُ ، فقالت : **إِنِّى قَدْ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ رَسُولَ الله** (ﷺ) .. قال : **أَنْتِ فَعَلْتِ** ؟ قالت : **نَعَمْ ! أَنَا كَلَّمْتُهُ فَآمَنَكَ** .. فَرَجَع معها ، وقالت : مَا لَقِيتُ مِنْ غُلامِكَ الرُّومِيِّ ! وخبَّرته خبره فَقَتَلَهُ عِكْرمة وهو يومئذٍ لم يُسْلِمْ .. فلما دنا من مكة قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه : «**يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِى جَهْل مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا ، فَلاَ تَسبُّوا أَبَاهُ ؛ فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِى الْحَىَّ ، وَلاَ يَبْلُغُ المَيِّتَ**» .
قال : **وجَعَلَ عِكْرِمَة يَطْلُبُ امْرَأَتَهُ يُجَامِعُهَا فَتَأْبَى عَلَيه** وتقول : **إِنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ** . فيقول : **إِنَّ أَمْرًا مَنَعَكَ مِنِّى لأَمْرٌ كَبِيرٌ** . فلمَّا بَلَغَ بَابَ رسول الله (ﷺ)وَثَبَ له رسول الله (ﷺ) قائما على رجليه فَرِحًا بقُدُومه ثم جلس رسول الله (ﷺ) فوقف بين يديه ومعه زوجته مُتَنقِّبَةٌ[٧] .. قال عكرمة : **قُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِى أَنَّكَ آمَنْتَنِى** . فقال رسول الله (ﷺ) :
«**أَنْتَ آمِنٌ**» . فقلت : **أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَنْتَ عَبْدُ الله ورسُولُه ، وأَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ ، وأَصْدَقُ النَّاسِ، وأَوْفَى**

---

(٥) فى الإصابة (٢/٤٩٠) وأما عكرمة فركب البحر فأصابهم عاصف ، فقال أصحاب السفينة : أخلصوا ؛ فإن آلهتكم لا تغنى عنكم ههنا شيئًا ، فقال عكرمة : والله لئن لم يُنجنى فى البحر إلا الإخلاص ، لا ينجنى فى البر غيره ، اللهم إن لك علىّ عهدًا إن عافيتنى مما أنا فيه ، أن آتى محمدًا ، حتى أضع يدى فى يده ، فلا أجدنّه إلا عفوًا كريمًا ، قال : فجاء فأسلم .

(٦) تحرّك إليه ثوبها . (٧) مُغطِّية وجهها بالنقاب . والحديث أخرجه الواقِدى ، وابن عساكر والحاكم (٣/٢٤١) عن عبد الله بن الزُّبَير (رضى الله عنهما) .

النَّاسِ . قال عكرمة : أَقُولُ ذَلِكَ وَإِنِّى لَمُطَأْطِئٌ رَأْسِى اسْتِحيَاءً مِنْهُ .. ثم قلت : **يَارَسُولَ الله ، اسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا ، أَوْ مَوْكِبٍ أَوْضَعْتُ**[٨] **فيه أُرِيدُ فِيهِ إِظْهَارَ الشِّرْكِ** . فقال رسول الله (ﷺ) : **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعِكْرِمَةَ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا أَوْ مَوْكِبٍ أَوْضَعَ فِيهِ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّ عَنْ سَبِيلِكَ»** . قلت : **يَارَسُولَ الله ، مُرْنِي بِخَيْرِ مَا تَعْلَمُ فَأَعْلَمُهُ** . قال : **قُلْ** : **«أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه ، وتُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ»** . ثم قال عكرمة : **أَمَا والله ، يَارَسُولَ الله ، لا أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أَنْفَقْتُهَا فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ الله إِلاَّ أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ الله ، وَلاَ قَاتَلْتُ قِتَالاً فى الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ الله إِلا أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ الله**[٩] .

ثم قُتِلَ عنها عكرمة (رضى الله عنه) ، فتزوَّجت من بعده خالد ابن سعيد– وكان من المجاهدين – فخرج فى غزوة إلى الشام وأراد أن يدخُلَ بها فقالت له : **هَلاَّ صَبَرْتَ حتى ينصُرَنا «الله» تعالى** .. فقال لها : **يا أُمَّ حَكِيمٍ ، تحدِّثُنِي نَفْسِي بأنِّى أُقْتَلُ** .. فقالت : **دُونَكَ** .. فدخل بها فى خيمة ، وأَعَدَّ وَلِيمَةً لأصحابه ، وما إن فرِغَ الناس من الطعام حتى أقبلت جموع الروم ، وقامت المعركة ، وقُتِلَ زوجها ودُفِنَ هناك ، واستمرَّت هِيَ تُقَاتِلُ ، وكان سلاحها عمود الخيمة التى شهدت عُرْسَهَا ، فقتلت به سَبْعَةً من الروم ، وقد سُمِّيَت المنطقة بقنطرة أُمِّ حكيم[١٠] ، وهى قريبة من مدينة (دمشق) .

---

(٨) جماعة من الناس ألهسد فيهم .

(٩) عن عروة بن الزُّبَير (رضى الله عنهما) رواه الحاكم (٣/٢٤١) والطبرانى ، كما فى المجمع (٦/١٧٤) .

(١٠) الاستيعاب لابن عبد البر : ٤١٤٢ (٤/١٩٣٢ ، ١٩٣٣) والإصابة : ١١٩٨٠ (٨/١٩٤) .

السَّيِّدَةُ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ

☐ كانت من نساء الأنصار اللاَّتى أسْلَمْنَ قَدِيمًا ، وكانت تخرج فى الغزوات تُدَاوى الجَرْحَى ، وتَسْقِى العَطْشَى ، وفى غزوة (بَدْرٍ) استشهد ابنُها حارثة بن سُرَاقة بين يَدَىْ رسول الله (ﷺ) فجاءته وقالت : **يَارَسُولَ الله ، أَخْبِرْنِى عَن حارثة، فَإِنْ كَانَ فى الجَنَّة صَبَرْتُ واحْتَسَبْتُ ، وإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْ تُ فِى البُكَاءِ** ، فقال (ﷺ) : «**أَوَهَبِلْتِ أَوَ هِىَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ؟!!.. إِنَّها جَنَّاتٌ وَقَدْ أَصَابَ ابْنُكِ الفِرْدَوسَ الأَعْلَى**»(١) فقرَّت عينُها ، وسعدت بهذه البُشْرَى .

وفى يوم من الأيَّام دخل أناس على رسول الله (ﷺ) يَشْكُونَ أُخْتَ الرُّبَيِّع ويطلُبُون القِصَاصَ منها ؛ فقد لَطَمَت امرَأَةً منهم فَكَسَرَتْ ثنيَّتَها ، وحاول أهلها استرضاء المرأة وأهلها حتى يقبلوا التعويض أو يعفوا فأبوا إلا القِصَاصَ ، فجاءت الرُّبَيِّعُ تَسْعَى إلى رسول الله (ﷺ) تقول : **أَيُقْتصُّ مِنْ أُخْتِى يارسولَ الله ؟!..** قال : «**نعَمْ ، القِصَاص**» .. فقالت : **لا ، والَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا يُقْتَصُّ منها أبدًا** ، فقال النبى (ﷺ) : «**سُبْحَانَ الله يا أُمَّ الرُّبَيِّعِ .. القِصَاصُ**» فعادت تقول : **لا والَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا يُقْتَصُّ مِنْها أبدًا** ، وفجأة جاء أهل المرأة يتنازلون عن القِصَاصِ ، فتبسَّمَ النبى (ﷺ) وقال :

«**إِنَّ مِنْ عِبَادِ الله مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ**»(٢) .

(١) عن أنس (رضى الله عنه) البخارى (٣٩٨٢) .
(٢) عن أنس (رضى الله عنه) رواه البخارى ورواه مُسْلِمٌ عن أبى هُرَيْرَة (رضى الله عنه) .

السَّيِّدَةُ بَرِيرَةُ مَوْلاةُ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ

□ كانت أَمَةً من إِمَاءِ الأنصار ، وكاتَبَتْ مواليها (الذين يملكونها) على خَمْسِ أَوَاقٍ من فِضَّة تعطيها لهم ليعتقوها .. فذهبت إلى السيدة عائشة تستعينها على كتابتها، فعرضت عليها عائشة أن تُعْطِى مواليها القيمة كاملة ، ويكون الولاء (الميراث) لها ، فلم يقْبَلُوا وشرطوا الولاء لهم .. وحين علم رسول الله (ﷺ) بذلك قال لعائشة : «**اشتَرِيها وأَعْتِقِيهَا فإنَّما الوَلاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**»[1] ، ثم خَطَبَ الناس وقال : **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِى كِتَابِ الله ، مَنْ شَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فى كِتَابِ الله فَهُوَ رَدٌّ وإن كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ ، شَرْط الله أحقُّ وَقَضاءُ الله أَوْثَقُ**» .. وسَنَّ لهم هذه السُّنَّة ، وفعلت عائشة،وأعتقت الجارية ؛ فتصدَّق أُناس عليها بشاة أرسلوها إلى عائشة فطبختها ، ودخل عليها رسول الله (ﷺ) وطلب طعاما فقالت : **إنَّمَا هُوَ لَحْمٌ تَصَدَّق به أُناسٌ على بريرة وأنْتَ لاَ تَأْكُلُ الصَّدَقَات** ، فقال : «**هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ ، ولَنَا هَدِيَّةٌ**» .. فكانت سُنَّةً أخرى تُسَنُّ للناس.. وفارقت الجارية - بعد عتقها - زوجها الذى أحبَّها حُبًّا شديدا مَلَكَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ فكان يَمْشِى ورائها فى سِكَكِ المدينة يَبْكِى ، وذهب إلى رسول الله (ﷺ) يرجوه أن يكلِّمَها كى تعود إليه،فاستدعاها النبى (ﷺ) وسألها فقالت : **آمِرٌ أَنْتَ يَارَسُولَ الله أَمْ شَافِعٌ** ؟!.. قال : «**بَلْ**

(١) تحفة الأحوذى ، أبواب البيوع (٤/٤٦٧ ، ٤٦٨) .

شَافِعٌ» فقالت : **إذًا لا أعُودُ إليهِ يارسولَ الله** .. فأمَرَها (ﷺ) أن تعتدَّ عِدَّة المطلَّقة ، وأصبحت هذه سُنَّةً ثالثة وهى أن الأَمَةَ إذا أُعْتِقَتْ كان لها الخِيَارُ فى البقاء مع زوجها أو فِرَاقِه ، نَعَمْ ، لقد كان فيها ثلاث سنن (رضى الله عنها)[٢] .

ولقد كانت (رضى الله عنها) شجاعة فى قول الحق حيث دخل عليها يوما عبد الملك بن مروان فقالت له : ياعبد المَلِكِ ، إنِّى أَرَى فِيكَ خِصَالاً ، وإنَّكَ لَخَلِيقٌ أَنْ تَلِىَ هَذَا الأَمْرَ ، فَإنْ وُلِّيتَهُ فاحْذَر الدِّمَاءَ فَإنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ الله (ﷺ) يقول :

«إنَّ الرَّجُلَ لَيُدْفَعُ عَنْ بابِ الجَنةِ بَعْدَ أنْ يَنْظُرَ إليها بِمَلْءِ مِحْجَمةٍ (إناء صغير) **مِنْ دَمٍ يُرِيقُه مِنْ مُسْلِم بِغَير حقٍّ»**[٣] .

يالها من نصيحة غالية تُقَدَّم إلى الحُكَّام .. فإن المرْأ فى فُسْحَةٍ من دينهِ ما لم يُصِبْ دمًا ، وإن سلطان الدُّنْيَا قد يُطْغِى الإنسان فيأبى المخالفة فى الرأى ، أو يستهويه التملُّق والنفاق ، وتزعجه كلمة الحق ، فلا تجد إلى قلبه سبيلا .. وإن الإمام العادل ضمن سبعة يُظِلُّهم «الله» بظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلّه ..

وما من رجل يُسْتَخْلَفُ إلا وتكون له بطانَتَان : بِطانة خير تدعوه إلى الخير وتحضُّه عليه ، وبطانة شَرٍّ تدعوه إلى الشر وتحضُّه عليه ، والمعصوم مَنْ عصمه «الله» .

---

(٢) عن عائشة (رضى الله عنها) بنحوه فى البخارى (٥٠٩٧) .
(٣) الاستيعاب : ١٧٩٥/٤ .

السَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُوم بنت عُقْبَة

□ كان أبوها من صَنَادِيد قُرَيْش ، ومِنْ أَشَدِّ الناس إيذاءًا لرسول الله (ﷺ) وتَعْذِيبًا لِلْمُسْلمين خاصَّةً العَبِيد منهم ، والضُّعَفاء .. وكذلك كان أخواها : الوليد ، وعمارة .. ومن بين هذه الأُسْرَة الكَافِرَة المُسْتَكْبِرَة اصطفاها «الله» تبارك وتعالى ، وشَرَحَ صدرها للإسْلام ، **فكانت من المسلمات الأُولَيات رغم كُفْر أَبِيهَا** وأخويها.. وجاء صُلْحُ الحُدَيْبِيَة الذى اشْتَرَط أهل مَكَّةَ فِيهِ على المسْلِمين أن يردُّوا إلَيْهم كُلَّ مَنْ يهاجر منهم رِجَالا كانوا أو نِسَاءً ، وقَرَّرَت هى أن تُهَاجر إلى المدينة فِرَارًا بِدِينِها ونَفسِهَا من مجتمع الشرك والفجور ، ولم تجدْ ما تَرْكَبُه ، ولا من تَصْحَبُه ؛ فهاجرت مَشْيًا على الأقْدَام حَتَّى وصلت مُنْهَكَة مُتْعَبَةً ، وما كَادَتْ أن تستريح حتى جاء أَخَوَاها يطلبان من رسول الله (ﷺ) أن يَرُدَّها عليهما تنفيذا لبنود معاهدة الحُدَيْبِية ، وأوشك أن يَرُدَّها عليهما فنزل جبريل الأمين بقول «الله» تعالى : ﴿..فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ..﴾[1]..

فنسخت الآية من المعاهدة الفقرة الخاصة بإرجاع النساء اللاَّتى يأتين من مكَّةَ للمدينة مهاجرات ؛ فمكثت بالمدينة ، وتزوَّجت من زَيْدِ ابْنِ الحَارِثَة ، ولمَّا قُتِلَ عنها يوم (مُؤْتَة) تزوَّجها الزُّبَيْر بنُ العَوَّام ثم طَلَّقها ، فتزوَّجها عَبْدُ الرَّحمٰنِ بنُ عَوف .. ولمَّا مَات عنها تزوَّجَتْ مِن عَمْرو بن العَاص فمكثت معه شهرًا ثم ماتت .

(١) المُمْتَحنة : ١٠ .

السَّيِّدَةُ نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبِ بن عَمْرو أُمُّ عِمَارَةَ الأَنْصَارِيَّةُ

□ خرج رسول الله (ﷺ) من (مَكَّة) إلى (العَقَبَةِ) سِرًّا لمقابلة وَفْدِ المدينة وكانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأتين فبايعوه ، وكانت هِىَ من ضمن الوفد ، ومعها زوجها وابنان لها ، وعادت إلى المدينة بعد أن حازت شرف الْبَيْعَة فى العَقَبَة والسَّبْقِ فى الإسلام ، وظلت تدعو إلى الإسلام بالمدينة المنوَّرة حتى هاجر إليها رسول الله (ﷺ) فكانت ضمن المُسْتَقْبِلِينَ له ، وكانت تشهد الغَزَوَاتِ ، وشهدت غَزْوَةَ (أُحُد) مع زوجها وابنيها ، ولقد حازت أيضا شرف شُهُود بَيْعَة الرِّضْوَان والَّتى تمَّتْ تحت الشجرة يوم الحُدَيْبِيَةِ .. وقد كان رسول الله (ﷺ) يزورها فى بيتها ، ويفْطِرُ عندها ، ويقول لها : «**إنَّ الصائمَ تُصلِّى عَلَيْهِ المَلائِكَةُ إذا أُكِلَ عِنْدَهُ حتَّى يفرَغوا** .. وربما قال : **حتى يشبَعُوا**»[1] ، وقالت له يوما : **يارسولَ الله ، ما أَرى كُلَّ شَىْءٍ إلا لِلرِّجَال ، وما أرى النساء يُذْكَرنَ بِشَىْءٍ** ، فنزل قول «الله» تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

(١) رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، وفى الإصابة : ١٢١٧٨ (٢٦٦/٨) .

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢]

وحين ظهر مُسيلِمَةُ الكذَّاب فى (اليمامة) وادَّعى النبوَّة أرسل رسول الله (ﷺ) إليه ابنها حبيب بن زيد بن عاصم الذى شهد معها بيعة العَقَبَة هو وأخوه عبد الله ، وأبوهما زيد بن عاصم ، ووصل حبيب إلى مُسَيْلِمَة برسالة رسول الله (ﷺ) والذى جاء فيها : «**مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إلى مُسَيْلِمَة الكذَّاب** ...» ، وأوقفه مسيلمة الكذَّاب أمامه وسأله : **أتشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ؟!..** قال حبيب : نَعَمْ أَشْهَدُ .. **فقال** مسيلِمَة : أَتَشْهَدُ أنِّى رَسُولُ الله ؟!.. قال حبيب : **أنَا أَصَمُّ لا أسْمَعُ ..** فكرَّر مسيلمة عليه السؤال ، وكرَّر حبيب الإجابة .. فأخذ مسيلمة يقطع أعضاءه عضوا عضوا ويكرِّر السؤال عليه ، ويكرر (رضى الله عنه) الإجابة حتى مات شهيدا ..

وجاءت حُرُوب اليمامة مع مُسَيْلِمَة الكذَّاب، فخرجت أُمُّه نَسِيبَة بنت كعب (رضى الله عنها) للغزو، وقاتلت، وأصيبت يَدُهَا، وجُرِحَت اثنى عَشَر جُرْحًا[٣] .

---

(٢) الأحزاب : ٣٥ ، والحديث عن عكرمة (رضى الله عنه) الاستيعاب : ٤١٩٠ (١٩٤٩/٤) .
(٣) الاستيعاب : ٤١٩٠ (١٩٤٨/٤ ، ١٩٤٩) والإصابة : ١١٨٩ (١٤٠/٨) .

السَّيِّدَةُ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ

□ كانت (رضى الله عنها) زوجة للصحابى الجليل نعيم بن النَّحَّام ، وكان لها بنت ، فطلب عَبْدُ الله بنُ عُمَرَ بنِ الخطاب – وهو من كبار الصحابة – من أبيه أن يخطب له ابنتها ، فقال : **يابُنَىَّ أنا أَعْلَمُ بِنُعَيْمٍ مِنْكَ ، إنَّ لَهُ ابن أَخٍ يَتِيمًا ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ لَحْمَكَ ، ويَقْطَعَ لَحْمَهُ ؛ فَخُذْ عمَّكَ زيدَ بنَ الخطابِ** .. فلما ذهبا لِنُعَيم شكر فى عبد الله ، وأثنى عليه ، ثُمَّ ردَّه بالمعْرُوف ، فصاحت امرأة نعيم من الداخل قائلة : **لا والله لاَ يكُونُ هذا حتى يَقْضِىَ بِهِ عَلَيْنا رَسُولُ الله** (ﷺ) ، فذهبت لرسول الله تشكو ، فاستدعى نُعَيْما ، وسمع منه ، ثم قال له : «**يانُعَيْمُ ، صِلْ رَحِمَك ، وأَرْضِ أَيِّمَكَ**[1] **؛ فإنَّ لَهُمَا مِنْ أَمْرِهِمَا نَصِيبًا**»[2] .. ودلَّ ذلك على أن أساس الزواج الرِّضَا المشترك ، ولا يصح لرجل أن يُزوِّج ابنته دون رضاها، أو يزوِّج ابنه دون رضاه ، فزواج المُكْره لا يَصِحُّ ، وطلاق المُكْره لا يقع ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : «**تُسْتَأْذَنُ البِكْرُ ، وإذْنُها صِمَاتُها** (سكوتها) .. **وتُسْتَأْمَرُ الثَّيِّبُ**»[3] (أى لابد من موافقتها بالكلام) .. وما يفعله بعض الجهلاء من إكراه الابنة على الزواج ممن لا تُحِبُّ حرام شَرْعًا ، وزواجها إن تم كرها باطل قطعا .

(١) الأيم : التى لا زوج لها .
(٢) عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) الإصابة : ١٢١٤٨ (٢٥٣/٨ ، ٢٥٤) .
(٣) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، البخارى (٥١٣٦) وبنحوه عن عائشة (رضى الله عنها) (٥١٣٧) .

السَّيِّدةُ أمُّ العَلاءِ الأنصاريةُ

□ كان الأنصار يتسابقون فى استِضافة المهاجرين بالمدينة مما دَعَى إلى إجراء القُرْعَة بينهم وكُلٌّ وحَظُّهُ ونَصِيبُهُ ، ولقد كان من حَظِّها أن فازت هى وزوجها باستضافة الصَّحابىِّ الجليل عثمان بن مظعون وهو من المهاجرين الأوائل ، ومرض هذا الصحابى الجليل مرضا شديدا فقامت على خدمته وتمريضه خيرَ قيام حتى مات ؛ فتمَّ تغسيله وتكفينه ببيتها ، ثم قاموا بإخطار رسول الله (ﷺ) الذى جاء مُسْرِعًا ، ودخل عليهم فسمعها تقول : **رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أبَا السَّائِبِ ، شَهَادَتِى عَلَيْكَ لَقَدْ أكْرَمَكَ الله** .. فقال لها رسول الله (ﷺ) : «**ومَا يُدْرِيكِ أَنَّ الله أكْرَمَهُ ؟!**».. قالت : **لاَ أدْرِى بِأبِى أنْتَ وأُمِّى يارَسُولَ الله** .. فقال (ﷺ) : «**أمَّا هَذَا فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ ، وإنِّى لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنَ الله ، ووالله ما أدْرِى وَأنَا رَسُولُ الله مَا يُفْعَلُ بِى ؟!**» .. فقالت : **والله لاَ أُزَكِّى أحَدًا بَعْدَه أبَدًا**[1] .. وحزنت لذلك، ثم نامت فرأت فى منامها عَيْنًا تجرى لذلك المهاجر الذى مات فى بيتها ، فذهبت إلى رسول الله (ﷺ) ، وأخبرته بِرُؤْيَاهَا فقال : «**ذَاكَ عَمَلُهُ**» .. فاستبشرت وحمدت «الله».

هذا وقد علمنا من ذلك أننا إذا كُنَّا مَادِحِين أحدًا أن نقول: **أَحْسَبُهُ كَذَا، أَحْسَبُهُ كَذَا، والله حَسِيبُه ، ولاَ أُزَكِّى عَلَى الله أحَدًا**.. ولقد كانت من المسلمات الأوليات من نساء الأنصار ومِمَّن بَايَعْنَ رسول الله (ﷺ).

(١) عن زيد بن ثابت (رضى الله عنه) البخارى (١٢٤٣) وابن حجر العسقلانى فى الإصابة : ١٢١٧٤ (٢٦٣/٨ ، ٢٦٤) .

السَّيِّدَةُ أُمُّ زُفَــر

□ هى سيدة جليلة حَبَشِيَّة ، كانت ماشطة السيِّدَة خَدِيجة ، التى تُجَمِّلُها .. وقد ذهبت تشكو لرسول الله (ﷺ) وتقول : **يارسولَ الله ، إنى أُصْرَعُ ، وإنِّى أَتَكَشَّفُ ، فَادْعُ الله عز وجل** .. قال : **«إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ الله أن يُعافِيَك»** .. فقالت : **أَصْبِرُ يارَسُولَ الله** ، ثم قالت : **فَإنى أَتَكَشِفُ ، فَادْعُ الله ألاَّ أَنكَشِفَ**، فدعا لها فكانت تُصْرَع ولكنها لا تنكشِف[1].

وهذه القصة تدل على أن الصرع مرض لا علاقة له بمس الجنّ كما يزعم بعض الناس ، وأن العلاج الذى عرضه رسول الله (ﷺ) هو الدعاء لها ، والدعاء فقط، وأن من صبر على هذا البلاء كان من أهل الجنة ، فالصبر من أعظم النعم التى يمكن أن يرزقها العبد والتى يبلغ بها المنزلة فى الجنة لا يبلغها بعمله .

وقد ورد فى الحديث القدسى :

«إنَّ مَن استَسْلَمَ لِقَضَائِي ، ورَضِيَ بحُكْمِي ، وصَبَرَ على بَلائِي : بعثْتُه يومَ القيامَةِ معَ الصِّدِّيقِينَ» .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2] .

---

(١) متفق عليه : البخارى (٥٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٧٦) .

(٢) الزُمَر : ١٠ .

السَّيِّدَةُ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ

□ هى أخت أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْت مِلْحَان ، فهى خالة أنس بن مالك ، كانت كثيرا ما تُهَيِّء طعامًا لرسول الله (ﷺ) فيأتيها ويأكل عندها ، وغفا يومًا عندها غفوة ثم استيقظ يضحك وقال : «**عُرِضَ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ ظَهْرَ الْبَحْرِ الأَخْضَرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ**» ، فقالت : **يَارَسُولَ الله،ادْعُ الله أن يجعلَنِي مِنهُم** .. قال : «**إِنَّكِ مِنْهُمْ**» ، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك ، فقالت : **يَارَسُولَ الله ما يُضْحِكُكَ** ؟ فقال : «**عُرِضَ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ ظَهْرَ الْبَحْرِ الأَخْضَرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ**» .. فقالت : **يارسول الله ، ادْعُ الله أَنْ يجعَلَنِي مِنْهُمْ** ، قال : «**أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ**»[1] .. وتزوَّجت من رجل من الأنصار هو عُبَادَة بن الصَّامِت (رضى الله عنه) وكان مُحِبًّا للغَزْوِ فى سبيل «الله» ..وفى خلافة عُثْمَانَ بنِ عَفَّان تجهَّز جيش لغزو جزيرة قُبْرُص بقيادة معاوية بن أبى سُفْيَان ، وكان أَوَّل جيش يغزو فى البحر ، وخرجت مع زوجها فى هذه الغَزْوَة ووصَلَت السُّفُن إلى قُبْرُص ، ونزل المسلمون ينشرون دين «الله» وكانت معهم تُدَاوى الجَرْحَى ، وتَسْقِى العَطْشَى ، فوقعت من على دابَّتِها فَقُتِلَتْ شهيدةً ، ودُفِنَتْ فى جزيرة قُبْرُص ، فكانت أَوَّل شهيدة فى الإسلام تموت فى غزوةٍ بَحْرِيَّةٍ ، وتتحقَّق رُؤْيَا رسول الله (ﷺ) : «**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِهِ**

(١) عن أنس (رضى الله عنه) رواه البخارى (٢٨٠٩٤ ، ٢٨٠٩٥) .

يَرْكَبُونَ ظَهْرَ الْبَحْرِ الأَخْضَرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّة»، وتُستجاب دعوته وبشراه لها : **«أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ»** .. وكان ذلك فى السنة السابعة والعشرين من الهجرة ، وقد شهد هذه الغزوة من الصحابة أبو ذر الغفارى ، وأبو الدرداء (رضى الله عنهما) وغيرهما .. ولا شك أن كل من شهد هذه الغزوة قد فاز بالبُشْرى ، وعلى رأسهم معاوية بن أبى سفيان الذى كان قائدا لهذا الجيش ، ومع ذلك غفل المؤرِّخون للفِتَن ، والمتاجرون بالكلام عن فضل معاوية بن أبى سفيان ، ذلك الصحابى الجليل الذى كان أول من ركب ظهر البحر غازيا فى سبيل «الله» ناشِرًا لِدِينِهِ ، وهو العربى الذى عاش فى الصحراء لا يرى بحرا ولا موجا ، ولم يركب سفينة أو قاربا فى حياته – والإنسان عَدُوٌّ ما يجهل – ومع كل ذلك كان سببًا فى رفع راية التوحيد على جزيرة (قُبرص) ..فأين (قُبرص) اليوم ؟!.. وأين راية التوحيد التى رفعها معاوية بن أبى سفيان وأصحابه ؟!.. وأين نساؤنا اليوم من نساء الصحابة اللاتى كُنَّ يَرْكَبْن البحر للغزو فى سبيل الله ، ونساؤنا لا يعرفن من البحر إلا شواطئه ، يستلقين على رمالها عاريات ليستمتعن بأشِعَّة الشمس ونظرات الرجال .. ليتنا نتعرَّف على تاريخ الصحابة والصحابيات (رضوان الله عليهم) لنتأسَّى بهم حتى يعود للأمة مَجْدُها وعِزُّها ..



السَّيِّدَةُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ

□ هى بنت السيدة أُمَيْمَة بنت عبد المُطَّلب عمة رسول الله (ﷺ) ، وأخت السيدة زينب بنت جَحْش أم المؤمنين .. وكانت (رضى الله عنها) متزوِّجَة من مصعب بن عُمَير ، الذى كان سفير النبى (ﷺ) إلى أهل المدينة قبل هجرة النبى (ﷺ) إليها ، وكان يُعَلِّمُهم القرآن ، وأحكام الإسلام ، وكانت تذهب معه حيث ذهب لِتُفَقِّه نِسَاء الأنصار فى الدِّين .. وفى غزوة (أُحُد) كانت تَسْقِى العَطْشَى ، وتُدَاوى الجَرْحَى ، وكانت تخرج فى الغزوات مع رسول الله (ﷺ) فهى من فُضْلَيَات الصحابة[1] ، وقد أَسْلَمَتْ قديما ، وحين قُتِلَ زوجها مُصْعَبُ بن عُمَير فى عزوة (أُحُد) تزوَّجها طلحة ابن عُبَيْدِ الله .

ورغم صلاحها وتقواها إلا أنها وقعت فى السيدة عائشة (رضى الله عنها) حين حدثت قِصَّة الإِفْك ، وتكلَّمت بما تكلم به المنافقون ظنًّا منها أن ذلك يرفع منزلة أُخْتِها السيدة زَيْنَب بنت جحش (رضى الله عنها) عند رسول الله (ﷺ) فى الوقت الذى كانت فيه السيدة زينب تُدافع عن ضُرَّتِها السيدة عائشة حين سألها النبى (ﷺ) وتقول : **أَحْمِى سَمْعِى وبَصَرِى يا رَسولَ الله،ما عَلِمْتُ عَنْهَا إلا خيرًا ...**

(١) الاستيعاب : ٣٣٠٢ (١٨١٧/٤) والإصابة : ١١٠٥٤ (٥٨٦/٧) .

هذا وحين نزلت الآيات تُحدِّد عقوبة رمى المحصنات بالجَلْدِ ثَمانِينَ جَلَدة ، جُلِدَت السيدة حمنة بنت جحش مع مَنْ جُلِدَ ، وكان ذلك كفَّارة لما ارتكبته فى حق السيدة عائشة .

وهكذا يحافظ الإسلام على أعراض الناس ، فلا تَلُوكُها الألْسن بغير بَيِّنَة أو دليل ، يتساوى الجميع أمام القانون السماوى : لا فرق بين شريف ووضيع ، أو غَنِى وفقير .. وهاهى ابنة عمة رسول الله (ﷺ) ، وشقيقة زوجته تُجْلَدُ مع من جُلِدَ ، ولا تشفع لها قرابتها ، ولا سبق إسلامها وهجرتها ، ولا منزلة زوجها الصحابى الجليل طلحة بن عُبَيْد الله المبشَّر بِجِوَارِ رسول الله (ﷺ) فى الجنة .. هذه هى عظمة الإسلام والذى بتطبيق أحكامه تتحقَّق عظمة الأُمَّة ..

وللسيدة حمنة حديث عام خاص بالاستحاضة[٢] ؛ لأنها كانت ممن تستحاض - فلما سألت رسول الله (ﷺ) عن ذلك أَمَرَهَا أن تُقَدِّر مقدَار حَيضَتِهَا فتمتنع عن الصلاة والصيام فى هذه المُدَّة ، ثم إذا مضت هذه الفترة اغتسلت وصلَّت وصامت ، على أن تغسل مكان الاستحاضة ، وتضع حائلا من قماش أو قطن ، وتتوضَّأ لكل فرض من فروض الصلاة بعد دخول وقته ، ولا يضرها نزول الدم أثناء الوضوء أو الصلاة ...



(٢) عن عائشة (رضى الله عنها) رواه مسلم (٦٣ - ٣٣٤) ، (٦٤) .

السَّيِّدَةُ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّة

□ كانت من صُوَيْحِبَاتِ السيدة خَديجَة (رضى الله عنها) وتقول السيدة عائشة (رضى الله عنها) : **جَاءَتْ عَجُوزٌ إلِى النَّبى** (ﷺ) ، فقال : «**مَنْ أَنْتِ ؟**» .. قالت : **أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ** .. قال : «**بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ**[1] ، **كَيْف حَالُكُمْ ؟ كَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدَنَا ؟**» .

قالت : **بِخيرٍ ، بأَبِى أنتَ ، وأُمِّى يا رسول الله** .. فلما خَرَجَتْ ، قلت : يارسولَ الله ، تُقْبِلُ على هذه العَجُوز كُلَّ هذا الإقبال ؟!

قال :

«**إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَانَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإيمَانِ**»[2] ... ، ويقول أنس بن مالك : **كان رسولُ الله** (ﷺ) **إذا أُهْدِيَتْ إليه هَدِيَّةٌ** قال : «**اذْهَبُوا بِبَعْضِهَا إلَى فُلانَةَ ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةَ خَدِيجَةَ أَوْ : إِنَّها كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَة**» .

وهكذا يضرب رسول الله (ﷺ) المثَل لأمَّتِه فى الوفاء للزوجة بعد موتها، وللأبوين كذلك كما جاء فى حديثه الشهير الذى أجاب به مَنْ سأله عما بقى عليه من برّ أبويه بعد موتهما قائلا (ﷺ) : «**الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا ، والاستغْفَارُ لهما ، وإنفاذُ عَهْدِهِمَا من بَعْدِهِما ، وإكرامُ صَدِيقِهِمَا ، وصِلَةُ الرَّحِمِ التى لا رَحِمَ لَكَ إلاَّ مِنْ قِبَلِهِمَا**»[3] .

---

(١) الإصابة لابن حجر : ١٠٩٦٦ (٥٥١/٧) . (٢) المصدر السابق : ١١٠٤٣ (٥٨١/٧) .
(٣) أبو داود ، بذل المجهود (٧٩/٢٠) وابن ماجة (٣٦٦٤) .

السَّيِّدَةُ تَمِيمَةُ بِنْتُ وَهْب

□ هِيَ مِنَ الصَّحَابِيَّات ، وكانت زوجة لِعَبْدِ الرَّحمٰنِ بنِ الزَّبير ، وقد طلَّقَهَا طلاقًا بائِنًا أى ثلاث تَطْلِيقَات ، وتزوَّجها من بعده رِفَاعةُ القُرَظِيُّ ، واختلفت معه ؛ فذهبت لرسول الله (ﷺ) تشتكى الزوج الجديد قائلة : **يارسولَ الله ، إنَّ مَا مَعَهُ مِثْل هُدْبَةِ الثَّوْب**»[1] .. مشيرة إلى أنه لا أمَل معه فى الجِمَاع ، فسألها : «**أَتُرِيدِينَ أَنْ تَعُودِى إلَى عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ؟**» ..

قالت : **نَعَمْ ، يَارَسُولَ الله** .. فقال :

«**لاَ حَتَّى تَذُوقِى عُسَيْلَتَهُ ، وَيَذوقَ عُسَيْلَتَكِ**»[2] .. وهو ما يعنى أن المُحلِّلَ لابد وأن يَكُونَ زَوْجًا بالفِعْلِ .. ولا يجوز لمن حُرِّمَتْ عليه زوجته بالطَّلاقِ البائن أن يَلْجَأَ لأحَدٍ فيعْقِدَ على مطلَّقَتِه ثم لا يَدْخُلُ بها ، ويطلِّقُها ثم تعود إلى زوجها الأول .. **فإن ذلك يعتبر زنا ؛ فالمحلِّل لابد وأن يكون زوجًا بالفِعْل يتزوَّج بِنِيَّة أنْ يحيا معها إلى الأبد** ، ثم إنْ حَدَثَ خِلافٌ طَبِيعِيٌّ بإرَادَةِ «الله» ، وطُلِّقَتْ منه جاز أن تعود للأوَّل بعد انقضاء عِدَّتِها ؛ لقول «الله» عز وجل :

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ﴾[3]

---

(١) ما يتدلى من طرف الثوب من خيوط لتزيينه.
(٢) عن عائشة (رضى الله عنها) البخارى (٥٣١٧) ، ومسلم (١٤٣٣) . (٣) البقرة : ٢٣٠ .

السَّيِّدَةُ جُمَيْلُ بِنْتُ يَسَارٍ

☐ كانت فى رِعَايَة أخيها مِعْقَلِ بن يَسَارٍ ، وزوَّجها من رجلٍ مُسْلِمٍ هو أبو الدَّحْدَاح ، وهيَّأَ لها أسباب العيش الكريم ، وكانت تُحِبُّ زوجها حُبًّا جَمًّا ، واختلف معها يوما فطلَّقها وعادت إلى بيت أخيها حَزِينَة ، وانقضت عِدَّتُها و لم يُرَاجِعْهَا زوجُها فى فترة العِدَّة ، ثم بَدَا للزوج أن يعود لزوجته بعد أن ندم على تسرُّعِهِ فى طلاقِهَا ، فذهب إلى أخيها يخْطِبُها من جديد ، وفرحت المرأة بذلك ، ولكن فرحتها لم تَتِم إذ رفض أخوها أن يعيدها لزوجها قائلا له : **زَوَّجْتُكَ ، وأَكْرَمْتُكَ ، وأَفْرَشْتُكَ ، فطلَّقْتَهَا ثم جِئْتَ تَخْطِبُهَا !! لا و«الله» لا تَعُودُ إِلَيْهَا أَبدًا** .. وأصرَّ على عدم تزويجها منه رغم صلاحه ، وخُلُوِّه من العيوب الخلقية ، وحبِّه الشديد لمطلَّقتِه .. وحزنت الزوجة المطلَّقَة حُزْنا شديدا ، ولكنها لم تكن تَمْلِكُ من أمرها شيئا .. فأخوها هو وليُّها الشَّرْعِيُّ ، ونزل جبريل عليه السلام يخبر النبى (ﷺ) الخَبَرَ ويُبْلِغُهُ حُكْمَ «الله» فى هذه القضية :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ .. ﴾[1]

---

(١) البقرة: ٢٣٢ .

فاستدعى النبى (ﷺ) الأخ ، وقرأ عليه قول «الله» فقال : **الآنَ أَفْعَلُ يَارَسُولَ الله** .. فَزَوَّج أخته من طليقها الذى أحبَّها وأحبَّته ، والتَأمَ شَمْلُ الأسرة السعيدة من جديد ، وكانت قِصتُّها (رضى الله عنها) سَبَبًا فى شمول رحمة «الله» تعالى لِعِبَادِه[٢] .

فالآية خطاب لأولياء النساء كالأب والعم والأخ الذى تُطَلَّق مَنْ هى تحت رعايته طلاقا بائنا[٣] ، ثم تُريد أن تعود لزوجها إذا رَغِبَ فيها ولكنه لا يملك رجعتها إذ لابد من عَقْدٍ جديد وصداق جديد ، فتأخُذَ الولىَّ من : أب ، أو عم ، أو أخ الحَمِيَّةُ والأَنَفَةُ فيرفض الموافقة على ذلك ، والخطاب أيضا للأزواج الذين يريدون مفارقة زوجاتهم ، ويخشَوْن عودتهن لأزواجهن السابقين ، فيطلِّقها طلاقا رجعيا ، وقبل انقضاء العِدَّة يردُّها إليه ، ويُمْسِكها فترة ، وهكذا لمجَرَّد الإضرار بها ، وليس فى شرع «الله» عز وجل ضرر ولا ضِرار ، وعلى الإنسان أن يتَّقى «الله» عز وجل فيمن هو تحت رعايته ، أو كفالته فإن «الله» سَائل كُلَّ راع عما استرعاه .



(٢) فى البخارى (٥٣٣٠ ، ٥٣٣١) ، الاستيعاب : ٣٢٧٤ (١٨٠١/٤ ، ١٨٠٢) والإصابة : ١٠٩٧٩ (٥٥٥/٧) . (٣) الطلاق البائن نوعان : بَيْنُونة صُغْرى وهى التى تُطلَّق من زوجها وتنتهى عِدَّتها دون أن يراجعها فلا تحِلُّ له إلا بعَقْد جديد ، كطلاق جُمَيْل بنت يسار صاحبة القصة ، وكذلك من طُلِّقت قبل الدخول ، ومن تنازلت عن حقوقها .. وبينونة كبرى وهى التى تطلق ثلاث طلقات .

السَّيِّدَةُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بن رَبِيعَة

□ هِىَ امْرَأَة أَبِى سُفْيَان بن حرب ، وكانت ذات رَأْى وعَقْل وأَنَفةٍ ، وكانت من أشدِّ الناس عَدَاوَة للإسلام والمُسْلمين ، وقد حرَّضت زوجها وصناديد قُرَيْش للخروج (ببَدْر) ، وكانت تحرِّض قومها على قتال المسلمين ، وهى القائلة يوم (أُحُد) لصَنَادِيد قُرَيْش تشجعهم على القتال :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِق نَمْشِى عَلَى النَّمَارِق
إن تُقْبِلُوا نُعَانِق وَإِنْ تُدْبِرُوا نُفَارِق
فِرَاق غَيرَ وَامِق

ولما قُتِلَ أخوها الوَلِيدُ بنُ عُتْبَة وأبوها عُتْبة بن ربيعة وعَمُّها شَيْبَة ابن ربيعة فى غزوة (بَدْر) ازداد الغلّ فى قلبها ، وأتت بغُلام حَبَشِىٍّ يرمى بالحَرْبَة ولا يُبَارَى، لا تُخْطِىء ضربته يدعى وحشىّ ، وجنَّدتْه لقتل حَمْزَةَ بن عبد المطلب الذى قتل أباها وعمَّها .. وكان يقاتل بسيفين فتربَّص به وحشى حتى قتله ، وأخذت هِنْدُ كَبِدَ حَمْزَةَ فى فمها كى تأكلها وتشفى غليلها ولكنها لم تستسغها فلفظتها .. وحين بلغ ذلك النبى (ﷺ) قال : «**والله لَو اسْتَسَاغَتْهَا أَوْ دَخَلَ جوفَهَا شَىْءٌ مِنْهَا مَا مسَّتْها النَّارُ أبدًا**»[1] ، وظلَّتْ على عَدَاوَتِها للمسلمين ونفورها من الإسلام .

(١) ابن عبد البر فى الاستيعاب : ٥٤١ (٣٧٣/١) .

ودارت الأَيَّام وجاء الفتح ، ودخل النبى (مَكَّة) فاتِحًا وكان أبو سُفْيَانَ قد أَسْلَمَ يوم الفتح ، ولعلم عمر بن الخطاب بأن أبا سُفْيَانَ يُحِبُّ الفَخْرَ ؛ طَلَبَ من رسول الله (ﷺ) أن يجعل له شيئا ، فقال : «**مَنْ دَخَلَ بَيْتَ أَبِى سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ**»[٢] ، وفى صباح اليوم التالى لإسلام أَبِى سُفْيَانَ قالت له زوجته هند بنت عتبة : **إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُبَايِعَ مُحَمَّدًا** ، فقال لها : **لَقَدْ رَأَيْتُكِ تُكَذِّبِينَ هَذَا الْحَدِيثَ بِالأَمْسِ** ، قالت : **مَا رَأَيْتُ «الله» عُبِدَ حَقَّ عِبَادَتِهِ فى هَذَا الْمَسْجِدِ قَبْلَ اللَّيْلَة** ، و«**الله» إِنْ بَاتُوا إِلاَّ مُصَلِّينَ** ، قال : **فَإِنَّكِ قَدْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ فَاذْهَبِى بِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِكِ مَعَكِ** ، فَذَهَبت إلى عُثْمَان بنِ عَفَّانَ فذهب معها واستأذن لها[٣] ، فدخلت على رسول الله (ﷺ) وهى مُنْتَقِبَةٌ فى جماعة من النساء يبايِعْنَه ، وكان (ﷺ) لا يُصافِحُ النساء فى البَيْعَة - كما كان يفعل مع الرجال - وإنما كان يقْرَأُ عليهن قول «الله» عز وجل :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]

فلما قرأ الآية عليهن قالت هند : **وَهَلْ تَزْنِى الحُرَّةُ ؟!..** فأَسْلَمَتْ وبايعت ثم قالت لرسول الله (ﷺ) : **والله ، مَا كَانَ أَهْلُ خِبَاءِ**

---

(٢) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ابن حجر فى الفتح (٢٢٨٠) .
(٣) الإصابة : ١١٨٥٦ (١٥٦/٨) . (٤) الممتحنة : ١٢ .

أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ ، أَمَّا الآنَ فَمَا أَهْلُ خِبَاءٍ أحبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ .. وَقد حَسُنَ إِسْلاَمُهَا ، ثُمَّ ذَهَبَتْ يومًا إِلَى رَسُولِ الله (ﷺ) تَسْتَفْتيهِ قائلة : **إِنَّ زَوْجِى رَجُلٌ شَحِيحٌ لاَ يُعْطِينِى مَا يَكْفِينِى وَوَلَدِى ، فَهَلْ آخُذُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْر عِلْمِهِ** ؟ .. قال : «**نَعَمْ خُذِى مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ**»[٥] .. وقد شهدت (رضى الله عنها) غزوة (اليَرْمُوك) مع زوجها أبى سفيان ، وكانت تُحَرِّض المسلمين على قتال الروم وتشجعهم .

وماتت (رضى الله عنها) فى خلافة عُمَرِ بنِ الخَطَّاب ، ودُفِنَت بالبقيع (رضى الله عنهم أجمعين) .

ويتَّضح من القصة أمران :

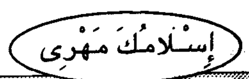
الأمر الأول : أن الإسلام يَجُبُّ ما قَبْله (أى يُكَفِّر جميع الذنوب التي ارتُكِبَتْ حال الكُفْر) .. وأن الإسلام إذا خالطت بشاشته القُلُوب دخل حُبُّ المسلمين فى القَلْب ، وتمكَّن منه ..

الأمر الثانى : أن زوجة البَخِيل لها أن تأخذ من ماله بغير عِلْمه ما يكْفِيها وأولادها من حيث : الغِذَاء والكِساء الضروريَّين المتناسبين مع مستوى الأُسرة الاجتماعى ، ولا يَصِحُّ أن تأخذ زيادة من أجل الكماليَّات ، أو للإنفاق على أهلها .



---

(٥) عن عائشة (رضى الله عنها) البخارى (٣٨٢٥) .



السَّيِّدَةُ الرُّمَيْصَاءُ أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحَانٍ

□ كانت زوجة مالِكِ بنِ النَّضْرِ ، وأنجبت منه أنس بن مَالِكٍ ، وقد **غَضِب عليها زوجها فخرج إلى الشام ومات هناك.. وجاء مُصْعَبُ بْنُ** عُمَيْرٍ إلى المدينة يدعو إلى الإسلام فكانت من أوائل اللاَّتى سارَعْنَ للدُّخول فيه ، وجاءها أَبو طَلْحَةَ الأَنْصَارى يَخْطِبُها ، وكان من أشهر الرُّمَاةِ فى الأَنْصَارِ ، فقالت له : **أَمَا إِنِّي فِيكَ لَرَاغِبَةٌ، ومِثْلُكَ لاَ يُرَدُّ ، ولَكِنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ ، فَإِنْ تُسْلِم فذَلِك مَهْرِى وَلاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ** .. قال : **حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِى** .. فذهب ثم عاد يقول : **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ الله وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**[1].. فتزوَّجته ، وولدت له ولدا مرض وهو صغير مرضا شديدا كان يبكى منه وينقطع نَفَسُهُ .. وخرج أبوه يوما إلى المسجد فمات الولد فغطَّتْه وتزيَّنَتْ وتعطَّرَتْ ، وعاد الأب يسألها عن ابْنِهِ فقالت : **هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ** .. ثم هيَّأَتْ له الطعام ، وأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا ، وفى الصباح أعدَّتْ له غُسْلاً فاغتسل لصلاة الفجر وقبل أن يخرج قالت له : **إِنَّ بَنِى فُلانٍ أَعَارُوا جِيرانَهُم عارِيةً، وَحِينَ طَلَبُوهَا مِنْهُم غَضِبُوا** .. فقال : **وكَيْفَ يَغْضَبُونَ ؟!** .. فقالت : **إِذًا فَاعْلَم أَنَ غُلاَمَك كَانَ عَارِيَةً من «الله» وقَدِ اسْتَرَدَّها مِنْكَ بالأَمْسِ .. فَمَاذَا أَنْتَ فَاعِل ؟!** .. فقال : **إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ** .. وخرج إلى المسجد

(١) الاستيعاب : ٤١٦٣ (٤/١٩٤٠) الإصابة : ١٢٠٧٣ (٨/٢٢٨) .

كاظما غيظه فلقيه رسول الله (ﷺ) فأخبره بموت ابنه ، فسأله : **«وهَلْ أعْرَسْتُمُ الْبَارِحَة ؟!»** .. قال : **نَعَمْ** .. فتبسَّم قائلا : **«لَقَدْ بَارَكَ الله لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا»**[٢] .. وتَلِدُ المرأة العاقلة غلاما يشُبُّ ويصبح عالِمًا ، وينجب عشرة من الأبناء كلّهم قد حملوا العِلْمَ عَنْه ينشرونه فى الآفاق .. وتتحقَّق نُبُوَّةُ الرسول (ﷺ) : **«لَقَدْ بَارَكَ الله لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا»** .. ويقول (ﷺ) : **«إنّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فإِذَا أنَا بالرُّمَيْصَاءِ فِيهَا»**[٣] .. وفى غزوة (حُنَين) اختفى الناس من حول الرسول ، ولم يبق إلا قِلَّةٌ منهم،وفى غَمْرَة انسحاب الناس من حوله إذا بناقة تجرى وعليها الرُّمَيْصَاءُ وكانت حامِلاً ، ولكنها قد ربطت بطنها بقُوةٍ على الحمْل حتى لا يتحرَّك الجَنِين ، ووضعت يَدَهَا فى خِطَام النَّاقة لِتَتحكَّمَ فيها ، وخِنْجَرًا فى اليَدِ الأُخرَى ، ونادت رسول الله (ﷺ) قائلة : **بأبِي أنْتَ وأُمِّي يارَسُولَ الله ، اقْتُل الَّذِينَ يَنْهَزِمُونَ عَنْكَ كَمَا تَقْتُلُ هَؤُلاَءِ الكُفَّار !!** .. فقال : **«أَوَ يَكْفِي الله يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ، إنَّا مُنْتَصِرونَ بِإذْنِ الله»**[٤] .. ويشاء «الله» تبارك وتعالى أن ترجع أُمُّ سُلَيمٍ وقد نصر «الله» الرسول والمؤمنين ، ثم تَلِدُ وتأخذ مولودَها للنَّبِيِّ ومعها بعض تمرات ليحنِّكه ، ويكون أول ما ينزل جوفَه لُعَابُ رَسُولِ الله (ﷺ) ، وسمَّاه النبى : عَبْدَ الله ، وهو الذى أنجب فيما بعد عشرة من الرجال كُلّهمْ حَمَلَة قُرْآنٍ وَعِلْمٍ .

(٢) عن أنس (رضى الله عنه) ، البُخارِيُّ (١٣٠١) مُسْلِم : (٢١٤٤) .
(٣) عن أنس (رضى الله عنه) مسلم (٢٤٥٦) ، والرُّمَيْصَاء كُنْيَة أمّ سُلَيْم .
(٤) عن أنس (رضى الله عنه) بنحوه رواه مسلم (١٣٤ - ١٨٠٩) .

السَّيِّدَةُ سُبَيْعَةُ القُرَشِيَّةُ

□ فاجأت الرسول (ﷺ) ذات يوم قائلة : **يَارَسُولَ الله ، زَنَيْتُ ؛ فَأَقِمْ عَلَيَّ الْحَدَّ**»[1] .. قال : «**اذْهَبِي حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِك**» .. وتقول السيدة عائشة : إنها ذَهَبَتْ ، فلمَّا وَضَعَتْ ما فى بَطْنِها أَتَتْه — ولو لم تأته ما سأل عنها — فقالت : يارسول الله ، قد وضعت مافى بَطْنى .. فقال لها : «**اذْهَبِى فأَرْضِعِيه حَتَّى تَفْطِمِيهِ**» .. فلما فطمَتْه ، أَتت النبىَّ (ﷺ) فقالت : **إِنِّي قَدْ فَطَمْتُهُ** .. فقال رسول الله (ﷺ) : «**مَنْ لِهَذَا الصَّبِيِّ؟!**».. فقال رجل من الأنصار : **أَنَا يَارَسُولَ الله** ، وتصف السيدة عائشة الموقف قائلة : **فَرُئِيَ فِي وَجْهِ رسولِ الله (ﷺ) الكَرَاهِيَةُ** ».. فدفع الطفل للرجل ثم قال : «**اذْهَبُوا بِهَا فَارْجُمُوها**»[2] فَرُجِمَتْ .

وهنا تبرز نقطة هامة وهى أنه إذا أخطأ الإنسان وسَتَرَهُ «الله» تبارك وتعالى فلا يجب أن يكشف سِتْرَ «الله» عليه ، فلا يفتخر بالمعصِيَة ، ولا يُحَدِّث بها أحدًا ، وإلا كان ذلك أعظم من الذنب الأصلى .. كذلك فإن الحدود كفَّارة ، ولكن لا يصِحّ للعبد أن يطلب إقامة الحد عليه إذا ستره «الله» .. ويقول العُلَمَاء :

---

(١) الحدود : هى العقوبات التى حدّدها الله فى القرآن لجرائم بعينها كقطع يد السارق ، وجلد الزانى غير المتزوج .. ونقصد بالحد هنا هو الرَّجم حتى الموت .

(٢) عن أبى بُريدة (رضى الله عنه) مسلم (٢٣ - ١٦٩٥) والإصابة : ١١٢٧٦ (٦٩٢/٧ ، ٦٩٣) .

إذا رأيت عَبْدًا على مَعْصِيَةٍ يُقَامُ فِيهَا الحَدُّ، ولكن ليست مما يتعلَّقُ بحقوقِ الغيرِ فالسَّتْرُ أَوْلَى مِنْ رَفْعِ أَمْرِهِ إلى الْحَاكِمِ .. ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ «الله» فى الدُّنْيا والآخِرَة ، وإذا ما أصاب الإنسان ذَنْبًا فإمَّا أن «الله» تعالى يُعَاقِبُه فى الدُّنْيَا بأن يبتليه ببعض البلاء كالمرض وغيره لقول الله تعالى :

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[٣]

وإما أن يُوَفِّقَه للتوبة ويعفو عنه ، والسيدة سُبَيعَةُ القُرَشِيَّةُ معدودة من الصحابيات على الرغم من هذه الخطيئة ، والحَدُّ الذى أقيم عليها كَفَّرَ عنها خطيئتها بفضل «الله» ، لقول النبى (ﷺ) :

«بايِعُونى على ألا تُشْرِكُوا بالله شيئًا ، ولا تَسْرِقُوا ، ولا تَزْنُوا ... ولا تأتُوا ببهتان تفترونَهُ بين أيديكُم وأَرْجُلِكُمْ ... ولا تعصُونِى فى مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفى مِنْكُم فأجْرُهُ على الله ، ومَنْ أصاب مِنْ ذَلِكَ شيئًا فَعُوقِبَ به فى الدنيا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ .. ومَنْ أصَابَ مِنْ ذَلِكَ شيئًا فَسَتَرَهُ الله عليه : إنْ شَاءَ غَفَرَ له ، وإن شَاءَ عَذَّبَهُ»[٤] .



(٣) الشورى : ٣٠.

(٤) عن عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) البخارى (٦٧٨٤).

السَّيِّدَةُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِى حَثْمَةَ

☐ هى امرأة عَامِر بن رَبيعَة ، وكانت من أشراف قُرَيْش من بنى عَدِىّ ، وأسلمت فى بدء الإسلام ، وهاجرت إلى الحَبَشَةِ ، ثم هاجرت إلى المدينة ، وصلَّت إلى القِبْلَتَيْنِ هى وزوجُها الذى كان من السابقين فى الإسلام والهِجْرَة ، وقد شهد المشاهد كُلَّهَا مع رسول الله (ﷺ) ، وشهدَ (بَدْرًا) .. وكانت تحكى وتقول : كان عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ من أَشَدِّ الناس علينا فى إسْلامِنَا ، فلما تهيَّأنا للخروج إلى أرض الحَبَشَةِ جاءنى عمر بن الخطاب وأنا على بعيرى نريد أن نتوجَّه فقال : **أين يا أُمَّ عَبْدِ الله ؟!..** فقلت : **آذَيْتُمُونا فى دِينِنَا ، فنذهب فى أَرْضِ «الله» حيث لا نُؤْذَى فِى عِبَادةِ الله** .. فقال : **صَحِبَكُمُ «الله»** ، ثم ذهب .. فجاءنى زوجى فأخبرته بما رأيت من رِقَّةِ عُمَر ابن الخطاب .. فقال : **تَرْجِينَ أَنْ يُسْلِمَ ؟** فقلت : **نعم** ، فقال : **لَوْ أَسْلَمَ حِمَارُ الخطَّابِ لأَسْلَمَ عُمَرُ**[1] وهو ما يعكس يأس الناس من إسلام عمر ، ولكن «الله» تبارك وتعالى يَهْدِى مَنْ يَشَاء فنطق عمر بعد ذلك بالصواب ، ووافق حكْمُه حُكْمَ الكِتَاب .. وقد كان هناك ناس سارعوا إلى الإسلام وكانوا أسرع فى الخروج منه .

وقد رَوَى زوجها (رضى الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : «**إذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الجَنَازَةَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ماشِيًا مَعَهَا فَلْيَقُمْ حَتَّى**

(١) عند ابن إسحاق فى السيرة ، وفى الإصابة : ١١٧٠٨ (١٠٢/٨) .

تخلَّفه أَوْ تُوضَع»[٢] كما روى أيضا قوله (ﷺ) : « **سَيَكُونُ أُمَرَاءُ بَعْدِى يُصَلُّونَ الصَّلاةَ لِغَيرِ وَقْتِهَا فيؤخِّرونها عن وَقْتِها فصَلُّوها مَعَهُمْ فَإِنْ صَلُّوهَا لِوَقْتِهَا وصَلَّيْتُمُوهَا مَعَهُمْ فَلَكُمْ وَلَهُم .. وَإِنْ أَخَّرُوهَا عَنْ وَقْتِهَا وصَلَّيْتُمُوهَا مَعَهُمْ فَلَكُمْ وعَلَيْهِمْ .. ومَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ مَاتَ ميتةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَنْ نَكَثَ الْعَهْدَ ومَاتَ نَاكِثًا لِلْعَهْدِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ حُجَّةَ لَهُ**»[٣] .. وفى يوم من الأيام ذهب رسول الله (ﷺ) عندها ، وجلس ، وكان لها ابن صغير فذهب يلعب بعيدا فنادت عليه قائلة : **تَعَالَ أُعْطِكَ شَيْئًا** ، فقال رسول الله (ﷺ) : «**مَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيه ؟**» .. قالت : **أَرَدْتُ أن أُعْطِيهُ تمْرًا** ، فقال لها :

«**أما أَنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا لَكُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذِبَةٌ**»[٤] .

سبحان الله !! كلمة لطفلها الصغير تستدرِجُه بها إليها ، كى لا يغيب عن نظرها خوفا عليه ، وإشفاقا ، تُكْتب عليها كذبة !!.. إذًا فليس هناك كذبة بيضاء وكذبة سوداء ؛ فالكذب كذب ، والصدق صدق ، والمؤمن لا يكذب ، ولم يُرَخِّص رسول الله (ﷺ) فى الكذب مطلقا إلا فى ثلاثة أحوال : الرجل يصلح بين الناس فيقول خيرا لهذا ولهذا .. والرجل يقول فى الحرب ؛ فالحرب خدعة .. والرجل يتودَّد لامرأته ، والمرأة تتودَّد لزوجها .. جعلنا «الله» من الصادقين .

---

(٢) رواه البخارى (١٣٠٨) واللفظ لمسلم والنسائى .

(٣) عن عامر بن ربيعة (رضى الله عنه) مُسند الإمام أحمد (٣/٤٤٥) .

(٤) أبو داود والحاكمُ عن عبد الله بن عامر (رضى الله عنهما)وفى الإصابة : ١٠٧٠٨ (٨/١٠٢) .

السَّيِّدَةُ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ

☐ كانت متزوِّجة من رَجُل يُدعى : أَوْس بن الصَّامِتِ وهو أخو عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ ، وكان أكبر منها سنًّا ، شديد العصبية ، زَرِب اللسَان ، وقد بلغ به الغضب ذات يوم أن أغلظ عليها القول وقال لها : **أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي** ، ثم غاب ساعة وعاد يُرِيدُها لِنَفْسِهِ فقالت : **لا والله لا تَقْرَبْنِي حَتَّى يَحْكُمَ الله ورسُولُه فِيَّ بعد الذى قُلْتَهُ** ، وكان (**الظِّهَارُ**) معروفًا فى الجاهلية وتَحْرُمُ بموجبه المرأة نهائيا دون أن يكون هناك مجال للصُّلح ، وذهبت المرأة لرسول الله (ﷺ) تشكو ويقول لها : «**مَا أَرَى إلاَّ أَنَّكِ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْه**» ، وتقول : **عِيالِي إنْ تَرَكْتُهُمْ ضَاعُوا وإنْ أَخذْتُهُمْ جَاعُوا ، أَمَا مِنْ مَخْرَجٍ ؟ أَمَا مِنْ حَلٍّ ؟** ويقول : «**مَا أَرَى إلاَّ أَنَّكِ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ**»(١) ، وعائشة (رضى الله عنها) تجلس فى حجرتها ترى المحاورة ولا تسمع منها شيئا ، وما قامت المرأة الحزينة حتى نزل جبريل الأمين بالقول الفَصْلِ الذى يُحَرِّمُ هذه الكلمة ، ويُوجِبُ على قائلها أنواعًا من الكَفَّارات عليه أن يُؤَدِّيها حتى تَحِلَّ له زوجتُه مَرَّة أخرى حيث يقول «الله» تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ

(١) عن ابن اليمانى (رضى الله عنهما) مختصرا عند ابن حجر فى الفتح ك - ١٦٨ ، ب ٢٣ ، وعند أبى داود (٢٢١٤) .

مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى
وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] .

وكَلَّفها الرسول (ﷺ) أن تأمر زوجها أن يعتِقَ رَقَبَةً ، قالت : **يارسول الله ، ليسَ عِنْدَهُ ما يُعْتِقُ بِهِ رَقَبَةً !!..** قال : «**إذًا فَمُرِيه أَنْ يَصُومَ شَهْرَينِ مُتَتَالِيين**» ، قالت : **لا يَقْوَى على الصِّيام** ، قال : «**فَمُرِيه أَنْ يُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسَقًا مِنْ تَمْر**» (الوَسَق سِتُّونَ صاعًا) قالت : **ومِنْ أَيْنَ يُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟!..** فأجابها الرسول (ﷺ) قائلا : «**سَوْفَ أُعِينُه بعَرَقٍ** (إناء كبير من خوص) **مِنْ تَمْر**»، فقالت : **وأنَا يارسولَ الله، أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ،** فقال: «**أَحْسَنْتِ وَأَصَبْتِ ياخَوْلَةُ، فاذْهَبِى فَتَصدَّقِى به عَنْهُ ثُمَّ استَوصِى بابنِ عَمِّك خيرًا**».

وذات يوم خرج عُمَرُ بن الخَطَّاب (رضى الله عنه) يتفقَّد أحوال

(٢) المجادلة : ١ : ٤ .

الرعية ومعه بعض أصحابه فاستوقفته امرأة عجوزٌ ، وأخذت تحدِّثُه ويحدِّثها ولا يسمع حديثهما أحد ثم انصرفت ، فقال رجل : **ياأَمِيرَ المُؤْمِنينَ ، حَبَسْتَ النَّاسَ عَلَى هَذِه العَجُوز !!..** قال : **ويلَكَ أتدرى مَن هَذِه ؟!! و«الله» لو أنها وقَفَتْ إلى اللَّيْل ما فَارَقْتُها إلاَّ لِلصَّلاَةِ ثم أرجع ، إنها امرأة سَمِعَ «الله» عز وجل شَكْوَاها مِنْ فَوقِ سَبْعِ سمٰوات[٣] .. إنها خَوْلَةُ بنتُ ثَعْلَبَة التى أنزل «الله» فيها قوله تعالى :**

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ... ﴾[٤].

وهكذا عرف عمر بن الخطاب قدر هذه المرأة فوقف معها يسمع لها ، ويقضى لها حاجاتها ، ويُجيب سؤالها ، وهو أمير للمؤمنين تمتدُّ دولته لتشمل عدة دول عربية وإسلامية من دول عصرنا هذا ، وجيوشه تضرب آفاق المشرق والمغرب فاتحة للأمصار ناشرة لدين «الله» مُنْقِذَة للبَشَر من ظُلْمة الشرك والضلال ..

أى عظمة هذه ؟!.. وأى جلال ؟!!

إنه خُلُق السَّلَف الصالح الذين اقتدوا برسول الله (ﷺ) واستنّوا بسُنَّتِه فى : **إنزال الناس منازلهم .. ومخاطبتهم على قدر عقولهم .. وتَوْقير الكبير منهم .. ورحمة الصغير ..**

إنه تقدير للمسئولية التى يوضِّحها قوله (ﷺ) : «**كُلُّكُم رَاعٍ ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّته....**»

(٣) الاستيعاب : ٣٣٢٠ (٤/١٨٣٠ ، ١٨٣١) وفى الإصابة : ١١١١٢ (٧/٦٢٠) .
(٤) الآيات السابقة .

السيدة الخنساء بنت عمرو بن الشريد (تماضر)

☐ أجمع أهل العِلْمِ بالشِّعْر أنه لم تكن امْرَأَةٌ قَبْلَها ولا بَعْدها أَشْعَرَ منها ، وقد قَدِمَت على رسول الله (ﷺ) مع قَوْمها فأَسْلَمَت معهم وكان يُعْجِبُه شِعْرُها ، ويستنشِدُها قائلا : «**هِيهِ يَا خُنَاسُ**» .. واشْتَهَرَت برِثَائِها لأَخَوَيْها اللَّذَيْنِ ماتا مُشْرِكَيْن .. ومرَّت الأَيَّام وجاءت معركة (القَادِسيَّة) فأصرَّت أن تشهدها .. وشهدها معها أربعَةُ بنينَ لها ، فقالت لهم أوَّل الليل :

يابَنِيَّ ، إنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ وهاجَرْتُم مُخْتَارِينَ ، ووالله الَّذى لاَ إِلَه غَيْرُه ، إِنَّكُمْ لَبَنُو رَجُلٍ واحِدٍ كَمَا أَنَّكُمْ بنُو امْرأَةٍ واحِدَةٍ ، ما خُنْتُ أَبَاكُمْ ، ولا فَضَحْتُ خالَكُمْ ، ولا هَجَّنْتُ حَسَبَكُمْ ، ولا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ ، وقد تعلَمُونَ مَا أعدَّ الله للمسلمينَ منَ الثَّوابِ الجزيلِ فِى حربِ الكافرين ، واعْلَمُوا أنَّ الدَّارَ الباقِيةَ خيرٌ مِنَ الدَّارِ الفَانِيَة ..

يقول الله عز وجل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] ..

فَإِذَا أَصْبَحْتُمْ غدًا إنْ شَاءَ «الله» سالِمِينَ ؛ فاغْدُوا إلى قِتَالِ عَدُوِّكُم ، مُسْتَبْصِرِينَ ، وبـ«الله» على أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِينَ ، وإذا

(١) آل عمران : ٢٠٠ .

رَأَيْتُمُ الْحَرْبَ قد شَمَّرَتْ عن سَاقِهَا ، واضْطَرَمَتْ لَظَىً عَلَى سِيَاقِهَا ، وجلَّلَت نَارًا على أورَاقِهَا ، فتيمَّمُوا وَطِيسَها ، وجَالِدُوا رَئِيسَها عند احْتِدَامِ خَمِيسِهَا تَظْفَرُوا بالغُنْمِ والكَرَامَةِ فى دَارِ الخُلْدِ والمُقَامَة .. فخرج الأبناء قابلين لنصحها ، سامعين أمرها ، وتقدموا الجموع ، وقاتلوا بشجاعة ، وأبلوا بلاء حَسَنًا حتى استُشْهِدُوا !!
ولما بلغها الخبر قالت :
الحَمْد لله الَّذِى شَرَّفَنِى بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّى أَنْ يَجْمَعَنِى بِهِمْ فِى مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ[2] .

سبحان الله !! أى امرأة هذه ؟!.. ما أعظم حِكْمَتها ؟!.. وما أجزل عبارتها ؟!.. وما أصدَق لهجتها ؟!.. وما أعمق كلمتها ؟!.. أى صبر هذا ؟!.. وأى رضا بقضاء الله هذا ؟!.. وأى إيمان هذا ؟!.. أُمٌّ تَدْفَعُ بفلذات كبدها الأربعة إلى ساحة القتال غير هيابة ولا وجلة ، وتشجعهم على الاستشهاد فى سبيل «الله» ، وحين يأتيها خبر استشهادهم تحمد «الله» على ذلك .

ومنذ عهد قريب كانت دموعها تنهَمِرُ مِدْرارًا وهى تَرْثى أخاها قائلة:

أعينَىَّ جُودا ولا تَجْمـدا ... ألا تَبكيانِ لِصَخْرِ النَّـدَا
ألا تبكيانِ الْجَرِىءَ الجَمِيلَ ... ألا تبكيانِ الْفَتَى السَّيِّـدَا
طَوِيلَ العِمَادِ عَظِيمَ الرَّمَادِ ... سَادَ عَشِيرَتَـهُ أمْـرَدَا

إنه الإسلام الحق ، الذى أضاء قَلْبَها بنور اليَقِين ؛ فأصبحت (رضى الله عنها) نِبْرَاسًا لِلسالِكِين .

---

(٢) الاستيعاب : ٣٣١٧ (١٨٢٨/٤ ، ١٨٢٩) والإصابة : ١١١٦ (٦١٥/٧ ، ٦١٦) .

السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بنِ السَّكَنِ الأَشْهَلِيَّةُ

□ من خير نساء الأنصار من بنى عبد الأشهل ، وهى ابنة عم معاذ ابن جبل إمام العُلَماء يوم القيامة ، وهى التى ألبست السيدة عائشة وزيَّنتْها لزفافها .. ويُرْوَى عنها أنها سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : **«لاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ سِرًّا ، فَإِنَّ الْغيلَ يُدْرِكُ الفَارِسَ فَيُدَعْثِرهُ عَنْ فَرَسِهِ»**[1] .. **والغيل هو** : أن يجامع الرجل امرأته حال كونها مُرْضِعًا ، فإن حَمَلَت المرأة أثناء الرضاعة فإن اللَّبن فى هذه الحالة يُضْعِفُ الجنين حتى أنه يُوقِعه من على الفرس عندما يَشُبُّ .. والملاحظ أن المرأة عند العرب كانت إذا أنجبت دفعت ابنها إلى المَرَاضع حتى تكون هى جاهزة لزوجها .. والعلماء يرون أن الرسول (ﷺ) قد نهى عن الغيل ولكنه : **نَهْى تَنْزِيه ، وليس نَهْى تَحْرِيم** .

وقد اشتهرت بأنها سَفِيرَةُ النساء إلى رسول الله (ﷺ) إذ دخلت عليه يوما وهو فى مَلأ من أصحابه وقالت : **بِأَبِى وَأُمِّى أَنْتَ يارَسُولَ الله ، أنا وَافِدَةُ النِّسَاء إِلَيْكَ ، لَقَدْ بَعَثَكَ الله عَزَّ وجَلَّ إلى الرِّجَالِ والنِّسَاءِ كَافَّةً ؛ فَآمَنَّا بك ، وبإلٰهك ، وإِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ قَوَاعِدُ بُيُوتِكُم ، ومَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ ، وحَامِلاَتُ أَوْلاَدِكُمْ ، وإِنَّكُمْ - مَعْشَرَ الرِّجَالِ - فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا**

(١) رواه ابن ماجة : ٢٠١٢ (٦٤٨/١) .

بِالْجُمَعِ والْجَمَاعَاتِ ، وعِيَادَةِ المَرِيضِ وشُهُودِ الجَنَائِزِ، والحَجِّ بَعْدَ الحَجِّ ، وأَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله ، وإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ حَاجًّا ، أَوْ مُعْتَمِرًا ، أو مُجَاهِدًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، وغَزَلْنَا أَثْوابَكُم ورَبَّيْنَا أَوْلادَكُم ، أَفَمَا نُشَارِكُكُم فِي هَذَا الْخَيرِ والأَجْرِ؟! .. فالْتفَت النبى (ﷺ) بوجهه كُلّه إلى أصحابه وقال :

«**هَلْ سَمِعْتُم مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِه؟!**» .. فقالوا : **يَارَسُولَ الله ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِى إلى مِثْلِ هَذَا** .. فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَى المَرْأَةِ قَائِلاً : **افْهَمِى أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ ، وأَعْلِمِى مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ : أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ المَرْأَةِ لِزَوْجِهَا ، وَطَلَبِهَا مَرْضَاتَهُ ، واتِّبَاعِهَا مُوَافَقَتَهُ : يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ**» .. فانصرفت المرأة وهى تُهلِّل : «الله» أكبر ، «الله» أكبر[2] .. هذا وقد كانت من أشجع النساء فقد شهدت غزوة (اليرموك) وقتلت بعمود خيمتها سبعة من جنود الروم .. وقد روى الإمام أَحْمَدُ فى مُسْنَدِه عنها قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

« **مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا بَنَى الله لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّة** » .



(٢) ذكره السُيوطِى فى الجامع الكبير (٢/٧١٩) جزء الأفعال ، فى مسندها .. والاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٧٨٨) ط «نهضة مصر» .

وبعـــــد ..

أيتها الابنـــة المسلمـة :

□ هل تَحَرَّكَتْ مشاعرُك مع تلك النخبة من الصحابيَّات اللاتى ما تخرَّجْن من المدارس ، أو الجامعات !! .. بل تزوَّجْن صغيرات ، وسَعِدْن كَبِيرات ، وعِشْنَ مسلمات عابدات قانتات .. ومتْن مؤمنات صالحات .. فَفُزْن بسعادة الدنيا ، ونعيم الآخرة؟!! ..

وهل تاقت نَفْسُكِ للتأسِّى بهنَّ ، والسير على دَرْبِهِنَّ لتفوزى بما فُزْن به من رضوان «الله» تبارك وتعالى ، ونَعِيمه الدائم الذى لا يزول ؟!! ..

أم أنك لا زلت مَخْدُوعةً بما يُزَيِّنُه لك الفَسَقَة ، وأهل الفجور من حُرِّيَّةٍ وإثباتٍ للذات بالخروج على تقاليد الإسلام وتعاليمه ؟!!..

أمـا سَمِعْـت تحذير رسول الله (ﷺ) حيث قال :

«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّار لَمْ أَرَهُمَا : رجالٌ بأَيْدِيهم سِيَاطٌ يَضرِبُونَ بِهَا وُجُوهَ النَّاسِ ، ونِسَاءٌ عَارِيَاتٌ كَاسِيَاتٌ مَائِلاَتٌ مُمِيلاتٌ رُءوسُهُنَّ كَأَسْنَمَةِ البُخْتِ (الجِمَال) **المَائِلَة ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ولا يَشْمُمْنَ رِيحَهَا ، وإنَّ رِيحها لَيُوجَدُ عَلَى مَسِيرَةِ كَذَا وكَذَا»**

أمـا عَـلِمْـتِ بقوله (ﷺ) يوما للصحابيَّات :

«تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ، فإنِّى أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ؟!!» ..

أمـا عَـلِمْـتِ أنه قال يوما لأسماء بنت أبى بكر الصديق وقد بلغت المحيض ورأى عليها ثوبا يَشفُّ :

«إِنَّ المَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ المَحِيضَ لاَيَصِحُ أَنْ يُرَى مِنْهَا غَيرُ هَذَا وهَذَا»
وأشار إلى الوجه والكفّين؟!! ...
هل آثرتِ نظرة الإعجاب من الرجال على نظرة الرِّضا من الخالق جل وعلا؟!! ..
أما سمعت قول «الله» عز وجل :

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ .

أما علمت : أن الحَيَاءَ شَطْرُ الإيمان ، ومَنْ لاحياء له لا إيمان له ... وأن الحياء خَيْرٌ كُلُّه ، وأن الحياء إذا كان فى أمر زَانَه ، وأنه إذا نُزِعَ مِنْه شَانه ؟!!..
كيف تسمَحِين لنَفْسِك أن تكشفى عن عوراتك فيراها كل ناظر من بَرٍّ وفَاجِرٍ ؟!!.. إن أرخص أنواع الحلوى هى التي تُعْرَض مكشوفة يَعفُ عليها الذباب .. وأغلى أنواع الحلوى هى المغَلّفة والمحفوظة بعيدا عن الغبار والحشرات ، ولا يراها أو يمسُّها إلا من يَمْلِك ثمنها ، ويعرف قيمتها !!.

هل هانت عليك نَفْسُك فَعَرضت جسَدَك على كل من هَبَّ ودَبَّ كما كانت تُعْرَض الجوارى فى سوق النخاسة ؟!!.
أين حياؤك ؟!! .. أين اعتزازك بنَفْسِك ؟!!.. أين كبرياؤك ؟!!..

أين عقلك وتمييزك ؟!! .. هل خدعتك كلمات الإعجاب ؟! أم هل غرَّتك نظرات الاشتهاء ؟!!..

أما عَلِمْت أن كل شيء إلى زوال ، وأن الجمال هِبَة من «الله» تبارك وتعالى إلى حين ، وأن ما عند «الله» خير وأبقى ؟!! ..

أما تريدينَ أن تكونى من اللاتى زكَّاهن رسول الله (ﷺ) لشباب الأمة بقوله : «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ** :

لِجَمَالِهَا ، ولِمَالِهَا ، ولِحَسَبِهَا ، ولِدِينِهَا ، فَاظفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ ؟!!» ..

ابنتى العزيزة :

عُودى إلى «الله» ، وآثِرِى حُبَّ «الله» ورضاه ، على إعجاب ذوى القلوب المريضة ، والنُّفوس الخبيثة .. واسمعى لتوصية «الله» عز وجل وهو يقول :

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ ..

واعْلَمِى : أن خَيْرَ ما تَحْظَى به المرأة الزوجِ الصالح الأمين عليها الذى : إن أحبَّها أكْرَمَها ، وإنْ كَرِهَهَا لم يَظْلِمْهَا .. ولن تَجدى هذا الزوج إلا إذا كان مظهرُك يدعوه للاطمئنان على بيته ، وعِرْضِه ، وأولاده .. الزوج الذى يبحث عن أُمٍّ لأولاده تُحْسِن تربيَتَهم ، وتحفظه فى : نَفْسِه ، وماله ، ووَلَده .. وليس ذلك الباحث عن التحرُّر والتبهْرُج ، وما يتفاخر به أمام أقرانه !!.. فسريعا ما يَمَلُّ

لُعْبَتَه ؛ فيرميها كما يفعل الصغار ، ويبحث عن غيرها لِتُسَلِّيه !! ..

وإيَّـــاكِ أن تؤجِّلى زواجَك بحجة إنْهاء دراستك ، وحصولك على سلاح كما يَدَّعِى الجهلاء ، فإن الحافظ هو «الله» ..

واعلمـــى : أن المكان الطبيعى للمرأة هو بيت زوجها .. وأن رسالتها الأساسية هى تربية أولادها ، وتنشئتهم على مبادئ الإسلام ..

واســمــعى : نصيحة الرسول الأمين (ﷺ) :

«إذَا جَاءَكُمْ ذُو الدِّين فَأَنْكِحُوه ، إلاَّ تَفعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وفَسَادٌ كَبِيرٌ» .

هَــدَاكِ «الله» لمــا فيــه خَيــرُك .. وسَعَــادَتُـكِ فـى الدَّارَيْــنِ ..

يـاســين رشــدى

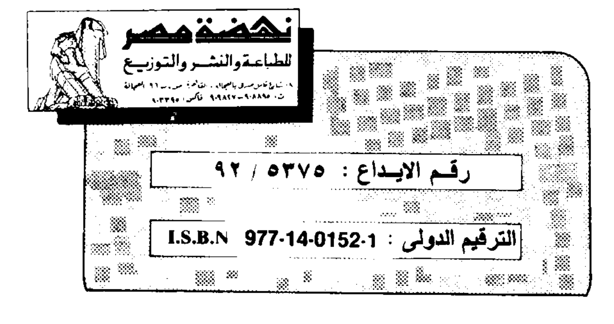


- حَقِيقَة التصوُّفِ وعلومُه ..
- مَنْشَأُ التصوُّف ..
- أَقْوال الصوفِيَّة الأوائل ..
- حجج الصوفِيَّة ودَلِيلُهم ..
- مقامات الصوفِيَّة وحقيقتها ..
- هل يتَّفِقُ التصوُّف مع السُّنَّة ؟ !

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس



رقـم الايـداع : ٥٣٧٥ / ٩٢

الترقيم الدولى : 977-14-0152-1 I.S.B.N

ما أجملَ سماحةَ الإسلام !! وما أيسرَ يُسرَه !!
على بِساط سماحة الإسلام ويُسره .. ندعوكم لِنُحَلِّقَ معًا .. فى آفاق جمال هذا الدين القويم ..

فإنه بعد عشرين سنة .. قضاها الداعية الإسلامى الكبير / **ياسين رشدى** فى الدعوة إلى «**الله**» عز وجل ..
وَفَّقَنَا «**الله**» تعالى لإخراج مُؤلَّفاته للعالم الإسلامى ..
ومساهمة وتيسيرًا مِنْهُ على الأمة الإسلامية .. فقد تنازل عن حقوقه فى تقاضى أى أجر .. مقابل هذه المُؤلَّفات .. لتكونَ دعوتُه إلى «الله» خالصة .. لايبتغى بها غير وجه «الله» عز وجل .. مما أفاد فى تخفيض سعر هذه الكتب ..

فجزاه «**الله**» خير الجزاء .. وتقبَّل «**الله**» مِنَّا ومِنْهُ ..
والحمد «**لله**» الذى يَسَّرَ لنا إخراج هذه **السلسلة الشهرية** .. التى صدر منها الكتب الآتية :
«**هو الله**» ثم «**الإسلام وأركانه**» ثم «**من الأحاديث القدسية**» ثم «**المحظورات**» ثم «**من أخلاقيات الإسلام**» ثم «**من مجامع الكلم**» ثم «**التربية فى الإسلام**» ثم «**فى رحاب الأصحاب**» وقد نفدت طبعاتها المتكررة فور صدورها ..

واستجابة لرغبة جماهير الأمة الإسلامية جارٍ طبعها طبعات أخرى ، وهذا هو **الكتاب التاسع** بين يديك .

الناشر

الطبعة الثانية

